الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص:تاريخ وحضارات المغرب الأوسط الوسيط

بعنوان:

بـــــجاية في العهد الحفصي

(7-9/13-15م)

-من اعداد الطالبتين: إشراف الأستاذ:

❖ - خليفة فضيلة -**شرقي نوارة**

❖ -درار نوال

-لجنة المناقشة:

-.حجاج نجاة.....**رئيسا**

-شرقي نوارة.....**مشرفا**

-.بوخلوة حسين.....**مناقشا**

الموسم الجامعي:1436 هـ-1437هـ/2015م-2016

شكر و تقدير:

نحمد الله و نشكره عز وجل على جميع نعمه و على عونه و توفيقه لنا في إنجاز عملنا هذا و مسيرتنا الدراسية ككل

قال الله تعالى:"و فوق كل ذي علم عليم"

ومن حق أهل الفضل أن يعترف لهم بفضلهم ولن يقدر على مجازاتهم على ما قدّموا إلا الله

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة

شرقي نوارة حفظها الله و رعاها، التي قدّمت لنا الكثير من النصائح و التوجيهات العلمية و المنهجية، جزاها الله خير جزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ و نخص بالذكر: الأستاذة طيب بوجمعة التي أفادتنا بملاحظاتها و مناقشاتها، فبارك الله في علمها و أطال الله في عمرها.

ونتقدم بشكر خاص لموظفي مكتبة كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ، على تسهيلاتهم التي قدموها لنا.

و في الأخير نتقدم بالشكر إلى كل من ساهم و لو بكلمة تشجيع أو تحفيز من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل.

Impossible d'afficher l'image. Votre ordinateur manque peut-être de mémoire pour ouvrir l'image ou l'image est endommagée. Redémarrez l'ordinateur, puis ouvrez à nouveau le fichier. Si le x rouge est toujours affiché, vous devrez peut-être supprimer l'image avant de la réinsérer.

إهداء

اعترافا بروح الجميل أهدي ثمرة جهدي إلى الوالدين الكريمين،

أمدهما الله بالصحة و العافية و بارك الله في عمرهما، رب ارحمهما كما ربياني صغيرا.

إلى إخوتي عبد القادر، سفيان، عبد الحق، إكرام، عبد المجيب، سهيب.

إلى الكتاكيت: آية، مروة، مرام، باتول، تقوى، أنس،منى؛ أسامة، هالة.

إلى جميع أفراد عائلة خليفة صغيرا و كبيرا و بالأخص خالي لعربي.

إلى جميع من ساهم في تعليمي من مرحلة الابتدائي إلى مرحلة الماستير كلٌّ في مجال تخصصه.

إلى صديقاتي اللواتي تعلمت منهن و معهن في الدراسة و الحياة و قضيت معهن في الدراسة و الحياة، و قضيت معهن أطيب اللحظات و أخص بالذكر فضيلة، خيرة، رميسة، جميلة، خالدية، إلى جميع الأصدقاء الذين رافقوني خلال رحلتي لايصال هذه الأمانة إلى بر الأمان.

و في النهاية أهدي عملي هذا إلى كل طالب علم مع تمنياتي بالنجاح.

ɳɭøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøøØNJə

الإهداء:

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده و بعد، نهدي هذا العمل المتواضع إلى كل صاحب عقل نير و قلب صادق، أهدي أول ثمرة نجاحي إلى:

التي في كل خطوة خطوتها إلا و كانت بقلبها معي، التي رافقتني رعايتها منذ الصغر و غمرتني بحنانها و سهرت على رعايتي على من عظم مقامك ربي و جعل الجنة تحت قدميك "أمي الحبيبة" إلى من يعجز القلب عن و صفه و تعداد فضائله علي، رباني دعمني أن العلم سلاح المؤمن إليك يا أعظم رجل" أبي الغالي الصحراوي".

وأهدي هذا العمل إلى من كانوا يضيئون لي الطريق و يساندونني، إلى زوجي العزيز"هيثم" و كل أخواتي: حليمة، أيمن، منال، و الكتكوتة "مروة"، و إلى كل أساتذتي الكرام الذين ساهموا في تعليمي و تكويني وإلى كل العاملات و عمال جامعة ابن خلدون كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية تيارت.

نـــــــوال

الرّمـــــــــــــز	الكلمـــــــــــة
تر	ترجمة
تد	تدقيق
تح	تحقيق
ط	طبعة
مج	مجلد
مر	مراجعة
ج	جزء
تع	تعليق
تق	تقديم
هـ	هجري
م	ميلادي
ص	صفحة
ت	توفيّ
ق	قرن
ع	عدد
د.ط	دون طبعة
د.م	دون مكان النشر
د.س.ن	دون سنة النشر
ع ص	عدد الصفحات
الاج	الاجتماعية
الاق	الاقتصادية
(...)	حذف
ص ص	من صفحة كذا إلى صفحة كذا
ص- ص	صفحات متباعدة

لقد عرف المغرب الإسلامي خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع و التاسع هجري العديد من الحواضر الإسلامية، التي حظيت بمكانة مرموقة من بينها بجاية التي تعتبر من أهم مدن المغرب الإسلامي و التي لا تقل شأنا عن باقي عواصمه، فلقد نالت شهرة واسعة في أوساط المجتمعات البربرية لا سيما بعد تأسيسها في القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي، فشهدت خلال هذه الحقبة تألقا و بروزا لا مثيل له، هذا ما لمسناه خلال تفحصنا في فلك جّل المصادر التي تناولت هذه الفترة الزمنية من تاريخ بجاية، لكن في نفس الوقت وجدنا معلومات شحيحة، فبجاية لم تحّص بدراسة وافية من جميع الجوانب سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا و ثقافيا خلال العهد الحفصي (7و9هـ/13-15م) مقارنة بالفترة السابقة رغم ما قدمته للدولة الحفصية من منافع و امتيازات في جميع المجالات، بالرغم من أنّها كانت تمثل عاصمة الجناح الغربي للدولة الحفصية.

و في هذه الدراسة نسعى إلى إبراز جميع المعالم التاريخية و الاقتصادية و الثقافية ببجاية في هذه المذكرة الموسومة ب: بجاية خلال العهد الحفصي (7-9هـ/13-15م).

و بالرغم من مكانة بجاية التاريخية و الحضارية كقطب اقتصادي هام و مركز إشعاع علمي ثقافي في القرن السابع هجري، الثالث عشر ميلادي (7هـ/13م)، إلا أن الدراسات في هذا الموضوع جّد قليلة باستثناء الدراسة التي قدمها محمد الشريف سيدي موسى و المتمثلة في "مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية و الثقافية" و التي تطرق فيها دراسة الأوضاع الاقتصادية و أهم الفئات الاجتماعية التي استوطنت حاضرة بجاية، بالإضافة إلى الدور الكبير الذي قام به العلماء الأندلسيون في إنعاش الحركة العلمية في تلك الفترة، و دراسة أمينة بوتشيش كرسالة ماجستير بعنوان:" بجاية دراسة تاريخية و حضارية ما بين القرنين السادس و السابع هجريين" تطرقت فيها الباحثة إلى مدينة بجاية سياسيا و حضاريا خلال عصر الموحدين و الحفصيين.

ومن هذا المنطلق تتضح أهمية الموضوع كونه يسلط الضوء على جميع الجوانب السياسية و الاقتصادية لمدينة بجاية خلال القرن السابع، التاسع هجري، الثالث عشر، الخامس عشر ميلادي (7-9هـ/13-15م)، ويبرز لنا الكم الكبير من العلماء الذين وفدو للمنطقة.

و من هنا يطرح الموضوع إشكالية رئيسية تندرج تحتها مجموعة من التساؤلات:

- فإلى أي مدى ساهم ولاة بني حفص في تغيير الحياة السياسية و الاقتصادية في بجاية ما بين القرنين 7-9 هجري؟ وكيف هو واقع بجاية الثقافي؟

ومن الأسئلة الفرعية التي تثيرنا:

- ما هي الأطوار التاريخية التي مرّت بها مدينة بجاية، و كيف اتسمت علاقاتها بجيرانها سياسيا؟
- فيما تمثلت أهم المنتوجات الزراعية و أهم الصناعات وأثر ذلك على التجارة؟
- ما هي الأوضاع الثقافية بالحاضرة خلال الفترة المدروسة و فيما تمثلت مظاهر العلاقات الثقافية بينها و بين دول الجوار؟

و إن اختيارنا لهذا الموضوع تقف وراءه جملة من الاعتبارات أهمها:

- تسليط الضوء من خلال هذا العمل على مدينة بجاية في العهد الحفصي و التعرف على هذه الفترة المشرقة من تاريخ هذه الحاضرة و ما عرفته من تطور اقتصادي.
- التعرف بأهم سلاطينها و أمراءها، و أشهر الأعلام الذّين عاشوا بالمنطقة و الذّين مرّوا بها و ما تركوه من مصنّفات تشهد على مدى إسهاماتهم الفعّالة التّي لم تعطى الأهمية و الصدى الذّي يجب أن تصله.
- إبراز التفاعل الثقافي بين بجاية و دول الجوار.

و لأن كل عمل لا يخلو من الصعوبات، فقد واجهتنا العديد من الصعوبات نذكر منها صعوبة التحكم في المادة العلمية، وذلك باستخلاص كل ما يتعلق بالجانب السياسي من ترتيب الأحداث التاريخية، و قد زادت الصّعوبة في إبراز أهم الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية للحاضرة التي عرفت شحا في المادة العلمية لأن معظمها يتناول الجانب السياسي بصفة أكثر من باقي الجوانب.

و لمعالجة الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي السردي الذي يتناسب مع سرد الأحداث التاريخية، و على المنهج التحليلي لانتقاء المادة العلمية من مصادرها الأصلية و هذا تقصيا للأمانة العلمية مع الحرص على الموضوعية التاريخية.

و لقد تم إنزال هذا العمل في مقدمة و مدخل و ثلاث فصول و خاتمة.

أما المقدّمة فقد جاءت كتمهيد للموضوع و نذكر أهميته مع طرح الإشكالية، و ذكر دوافع اختيار الموضوع و الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذه الدراسة، إضافة إلى المنهج الذي اعتمدنا عليه، و أخيرا نقد لبعض المصادر و المراجع المكملة التي أعانتنا في هذه الدراسة.

واختص المدخل بدراسة الإطار الجغرافي لبجاية و نبذة عن أهم المظاهر التاريخية في العهد القديم، أي منذ غاية الفتوحات لبجاية إلى الفترة الوسيطة خاصة الفترة الحمادية و التي أسست فيها و أخيرا بجاية في الفترة الموحدية.

أما الفصل الأول المتمحور تحت عنوان" الحياة السياسية لبجاية" و اندرج ضمنه أربعة مباحث، المبحث الأول خصّص لأمراء بني حفص على بجاية الحفصية، مع ذكر أهم النكسات التي تعرضوا لها و تطرق المبحث الثاني إلى النظام السياسي و الأنظمة الإدارية و ذلك بذكر الطريقة المتبعة في تولية الحكم وكذا الأنظمة الإدارية و مدى مساهمتها في تحقيق الاستقرار السياسي، أما المبحث الثالث فقد خصص لبجاية إمارة مستقلة عن الدولة الحفصية و قد وضح فيه أهم الظروف المؤدية بأمراء بجاية إلى انفصالهم عن الجناح الشرقي للدولة الحفصية، وفي المبحث الأخير دراسة أهم العلاقات السياسية الخارجية لبجاية الحفصية و الذي وضح فيه علاقة بجاية مع كل من نظيراتها من بنو مرين و بنو زيان، و حتى النصارى و اخيرا مصر سياسيا.

كما جاء الفصل الثاني بعنوان" الحياة الاجتماعية و الأوضاع الاقتصادية لبجاية الحفصية" يندرج ضمنه ثلاثة نقاط: خصصت النقطة الأولى منه لعناصر المجتمع البجائي، بينما الثانية لأهم فئات المجتمع و أخيرا مكانة المرأة و أهم عادات و تقاليد البجائيون المتمثلة في المأكل والملبس و الزينة، أما المبحث الثاني بعنوان"الأوضاع الاقتصادية" الذي هو الآخر اندرج تحت عنوانه ثلاثة

عناصر: الزراعة، الصناعة، التجارة على التوالي و الذي تطرق فيه دراسة الحياة الاقتصادية و ما يرتبط بها و ما يتعلق بازدهارها من منتوجات زراعية، و ذكر لأبرز الصناعات الموجودة في هذه الفترة المدروسة، و أخيرا التجارة و أثرها على ازدهارها الاقتصادي و الرقي الحضاري الذي شهدته بجاية في هذا العهد.

أما الفصل الثالث بعنوان" الحياة الثقافية لبجاية"، اندرج ضمنه ثلاثة مباحث، المبحث الأول خصص للعلوم النقلية، بينما المبحث الثاني فعنون بالعلوم العقلية و كل من المبحث الأول الثاني فتحدثنا فيه عن أشهر علماء بجاية و قمنا بتصنيفهم، أما المبحث الثالث تحت عنوان "العلاقات الثقافية لبجاية و دول الجوار من أندلس، مصر و غيرها و أثر ذلك في تنشيط الحركة العلمية بهذه الحاضرة.

ثم جاءت بعد ذلك خاتمة البحث و هي ما توصلت إليه من نتائج في تلك الثلاث بمباحثها المختلفة، و في نهاية النهاية...كانت قائمة المصادر و المراجع، بالإضافة إلى بعض الملاحق المساعدة في الدراسة.

و قد تم الاعتماد على في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر، تنوعت ما بين كتب التاريخ و التراجم و الرّحالة و الجغرافيا متفاوتة القيمة من حيث مدى احتواءها على المعلومات التي لها صلة بالموضوع و على مراجع مكملة.

1-كتب التراجم:

-الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704هـ/1304م) "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" الذي ترجم فيه لمائة و تسعة (109) عالما سواء الذين استوطنوا بجاية أو الوافدين إليها، لكنّه في بعض الأحيان لا يعطي لنا تاريخ وفاة بعض العلماء، كما لم يغفل الإشارة إلى الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الأحداث السياسية، و بذلك فيكون قد أفادنا في الكثير باعتباره صفحة مشرقة من التاريخ الحضاري و الفكري لحاضرة بجاية.

-الحفناوي أبو القاسم محمد (ت 1306هـ/1942م) " تعريف الخلف برجال السلف" المتكون من جزءين الذّي يضّم أربعمائة و عشرون (420) ترجمة، حيث أفادني في ترجمة بعض التراجم المتواجدين ببجاية.

2-كتب التاريخ العام:

-ابن خلدون عبد الرحمن (ت 808هـ/1406م)" العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" المتكون من سبعة أجزاء، خصص الجزء الأول منه "المقدمة" التي أفادتنا في التعريف ببعض العلوم النقلية و العقلية.

أما عن الجزء السادس منه الذي خصص لدراسة الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي بما فيه بجاية، أفادنا بمعلومات هامّة خاصة ما يخص بجاية من الناحية السياسية كونها الحاضرة الثانية للحفصيين، كما أفادنا في الجانب الاجتماعي و ذلك بتعريف بعض القبائل العربية و البربرية التّي سكنت المنطقة.

-ابن قنفد القسنطيني أحمد بن حسين الخطيب(ت 810هـ/1407م) "الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية"، هذا الكتاب الذي خصص لدراسة الدولة الحفصية، و قد أفادنا في التعريف بأمراء بنو حفص و ترتيبهم زمنيا.

3-المصادر الجغرافية:

-مؤلف مجهول عاش في(ق 6هـ/12م) "الاستبصار في عجائب الأمصار" و هو من المصادر الجغرافية المهمة لكونه يتحدّث عن أهّم المنتوجات الزراعية و مختلف الصناعات التي تميز بها سائر جهات المغرب الأوسط بما فيها بجاية، أفادنا في معرفة أهّم المنتوجات الزراعية و مختلف الأنشطة الصناعية ببجاية.

-حسن الوزّان بن محمد"وصف إفريقيا" يعتبر من أهم المؤلفات المتناولة لتأريخ بلاد المغرب و يتكون من جزأين، و لقد استعنا في هذا البحث بالجزء الثاني الذّي درست فيه مملكة بجاية،

فتحدث عن معالمها فوصفها وصفا دقيقا تاريخيا و جغرافيا و كان لهذا الجزء فائدة عظيمة في معرفتنا بالحياة الاقتصادية ببجاية.

و يضاف إلى هذه المصادر بعض المراجع المكملة التي استفدت منها في هذه الدراسة لعل أهمها:

-روبار برنشفيك المستشرق الفرنسي الذي ألف كتابا ضخما بعنوان "تاريخ افريقية في العهد الحفصي من ق 13م إلى نهاية 15م، المقسم إلى جزءين تناول في الجزء الأول منه الحياة السياسية بشكل مستفيض، و في الجزء الثاني منه تناول دراسة الحياة الاجتماعية و الأوضاع الاقتصادية، أفادنا في معرفة الحياة اليومية من أنشطة اقتصادية، ثقافية و اجتماعية.

-عبد الفتاح مقلد الغنيمي"موسوعة تاريخ المغرب العربي(بني حفص و بنو زيان و بني مرين)، و الذي أفادنا في معرفة النظام السياسي و أهم الأنظمة الإدارية ببجاية خلال العهد الحفصي.

كما لا ننسى دور الرسائل الجامعية في هذه الدراسة منها: منها أمينة بوتشيش "بجاية دراسة تاريخية و حضارية بين القرنين السادس و السابع هجريين" مذكرة لنيل شهادة الماجستير في المغرب الإسلامي في العصر الوسيط و غيرها، بالإضافة إلى مجلة الأصالة، العدد التاسع عشر(19) الذي خصّص لدراسة بجاية بمقالتها المتنوعة كمقال السيدة عالمة بعنوان "نظرة على تاريخ بجاية" و مقال عبد الله عنان بعنوان " مدرسة بجاية الأندلسية و أثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط" و غيرهم الذين أفادونا في الإلمام بجميع الجوانب الخاصة ببجاية خلال القرن (7هـ/13م).

بجاية بالكسر و تخفيف الجيم وألف وياء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب[1] و هي على جرف حجر لها من جهة الشمال جبل يسمى أميسون و هو جبل سامي العلو صعب المرتقى[2] و يقابل بجاية من الأندلس طرطوشة[3] و عرض البحر بينهما ثلاث مجال و غربي بجاية جزائر بني مزغنة[4] و بذلك تكون مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاط بها البحر في ثلاث جهات: الشرق، الغرب و الجنوب[5].

أما الطول فيحدده ابن سعيد المغربي فيقول:"...حيث الطول اثنتان و عشرون درجة و العرض أربع و ثلاثون درجة و خمس عشرة دقيقة و لها نهر في نهاية الحسن على شاطئه البساتين"[6].

أما مناخها فيذكر أبو العباس الغبريني عن ذلك فيقول:"و مناخ بجاية في الصيف معتدل جدا وفي الشتاء يكثر سقوط المطر في منطقتها مما يعين على وفرة محاصيلها الزراعية و هي على العموم غنية بأشجار الزيتون و الصفصاف و غيرها.[7]

1- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله)، **معجم البلدان**، لبنان ؛ دار صادر، مج:1، 1988، ص: 339.

2- الحميري(محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح :إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص: 80.

3- أبي الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر)؛(ت 732هـ)، **تقويم البلدان**، بيروت؛دار صادر، ص: 137.

4- **جزائر بني مزغنة:** مدينة جليلة قديمة البنيان، فيها أثار الأول، و فيها دار ملعب قد قرش صحنه بحجارة ملونة كالفسيفساء، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، المليانة)**، الجزائر؛شركة دار الأمة، ط1، 2007، ص ص: 14،15.

5- مؤلف مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشر و تع :سعد زغلول، بغداد؛دار الشؤون الثقافية العامة، د .ط، 1984، ص ص: 20،21.

6- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، بيروت؛المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 1970، ص: 142.

7- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح :رابح بونار، الجزائر؛الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، 1981، ص: 04.

تميزت بجاية منذ القدم بميزاتها الخاصة حيث استطاعت أن تلفت الأنظار إليها، فأول من اكتشف سحرها و جمالها الطبيعي الكنعانيون الفينيقيون[1] الذين عمدوا إلى تأسيس مراكز و محطات تجارية في طريقهم البحري الرابط بين مدينتي صور و قادس، حيث تنبهوا لموقع بجاية البحري الحصين، و أنشئوا به مرفأ لهم و مدينة فينيقية عرفت باسم سالداي Saldae، و منذ ذلك الوقت غدت مدينة سالداي حلقة وصل بين شرقي البحر المتوسط وغربه و نقطة لتبادل السلع و البضائع التجارية التي اعتمد عليها الفينيقيون في تجارتهم كالفضة و الشمع و غير ذلك[2].

ومع قدوم الرومان[3] الذين استولوا على سالداي فغدت هذه الأخيرة من أعظم مدن موريطانيا حيث زادت عمارتها في ذلك العصر حتى أنه كان محيط سورها 21كلم^2 كما يظهر من أثاره الباقية، غير أن وقوع الثورات بها في ذلك الوقت أفقدها ما كسبته من عمران، و بعد دخول الديانة المسيحية لشمال إفريقية عادت بجاية قاعدة أخرى لها[4].

1- **الفينيقيون:** هم أقوام ظهرت في شمال منطقة الهلال الخصيب ، بداية من الألف الثالث ق.م ثم نزحوا بعد ذلك إلى الساحل السوري، فاختلطوا بالسكان. ينظر: محمد الصغير غانم، **التوسع الفينيقي في غربي ب؛أ؛م**، عين مليلة، الجزائر ؛دار الهدى، ص: 16. ومحمد أبو المحاسن عصفور، **المدن الفينيقية**، بيروت؛دار النهضة العربية للطباعة و النشر، د.ط؛د.س؛ص: 14.

2- محمد الشريف سيدي موسى، **مدينة بجاية الناصرية**، ، دراسة في الحياة الفكرية و الاجتماعية، تق :محمد الأمين بلغيث، الجزائر؛دار كرم الله للنشر و التوزيع؛د.ط؛2011؛ ص: 13.

3- **الرومان:** هم أقوام استوطنت روما و هي مدينة صغيرة في وسط شبه الجزيرة الإيطالية، و هي واحدة من المدن اللاتينية، و لهذا أطلق على سكانها اسم الرومان نسبة إلى روما. ينظر: مصطفى العبادي، **الإمبراطورية الرومانية** ؛عين مليلة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية؛2012/2011، ص: 33.

4-(أبو العباس)الغبريني، المصدر السابق، ص: 05.

بعد بونة[1] إلى غاية القرن الخامس ميلادي، حيث عرفت الأقطار المغربية الغزو الوندالي[2] حيث سيطروا على شمال إفريقيا فاستولوا بذلك غلى جزر البليار، كورسيكا، صقلية، بونة، سالداي (بجاية) منذ سنة 439هـ بعد صراع مرير[3].

أطلق الوندال على بجاية اسم كور وهو لفظ يعني الصخرة، و جعلوا مقرا لإحدى ولايتهم تتمتع باستقلالية معينة و يسيرها حكام من أعيان الوندال[4] إلى أن استطاعت الجيوش البيزنطية القضاء على أخر ملوكهم سنة 530هـ/534هـ و بذلك دخلت سالداي كسائر بلدان إفريقيا الشمالية تحت سلطة و نفوذ البيزنطيين[5].

وقد قدرت مساحتها حوالي ثلاثة كيلومترات مربعة، يحيط بها سور قوي جعل منها مدينة جد محصنة ، و عملوا على نشر الدين المسيحي بها ببطء ,ومع دخول العرب الفاتحين إليها عملوا على نشر الدين الإسلامي في كل أنحاء بلاد المغرب، بما فيها بجاية و ذلك منذ القرن 7م بعد ما وجدوا سالداي البيزنطية قرية صغيرة يقطنها مجموعة من الصيادين الأندلسيين كونها غنية من ناحية الثروات المائية فهي

1– **بونة**: (هيبون أو عنابة) مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة على نحر البحر، و لها أسواق حسنة و تجارة مقصودة و فيها قصب و بها معادن. ينظر:ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي)، **صورة الأرض**، القسم01، بيروت ؛منشورات دار مكتبة الحياة، 1992، ص: 77.

2- **الوندال**: هم أقوام جرمانية واسعة النطاق قدمت من شواطئ بحر البلطيق و أراضي الراين و الدانوب، تميزوا بالخشونة و الهمجية. ينظر: نهلة شهاب أحمد، **تاريخ المغرب العربي**، عمان ,دار الفكر، ط1، 2009، ص: 21.

3- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009، ص: 64.

4- بومهلة تواتي، **بجاية حاضرة البحر و نادرة الدهر**، ، الجزائر، دار المعرفة ؛2010؛ ص: 38.

5- **البيزنطيين**: ترجع هذه التسمية إلى بيزاس قائد الجماعة اليونانية التي هاجرت من مدينة مجارا، تلك المدينة التي عرفت باسم بيزنطة Bezantum و هي وريثة روما. ينظر: عمر كمال توفيق و محمود سعيد عمران، **تاريخ الدولة البيزنطية**، الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية ، 2006، ص: 11 .

ذات أنهار واسعة، و بالإضافة إلى اسم سالداي كان لبجاية اسم آخر هو بقاية أو بقايت[1] و ذلك حسب لغة المنطقة أي البربر.

و بعد ما تمكن العرب الفاتحين من فتحها و دخولها، فاستقرت بها الأوضاع السياسية و أصبحت واحدة من المدن الواقعة تحت الحكم الإسلامي[2]فاستقرت بها بعض القبائل و التي أعتبرت بجاية دارا لها و معظمها قبائل من البرانس[3] كزواوة[4] بالإضافة إلى كتامة[5] هوارة و عجيسة.[6]

غير أن البكري يقدم لنا بعض ما تميزت به بجاية آنذاك بوصفها فقال:"... مرسى مدينة بجاية أزلية، أهلة، عامرة بأهل الأندلس يجري بها بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة و هو مرسى مشتى و

1- **بقاية أو باغاية:** كانت هذه المدينة في مرحلة الفتح الإسلامي قلعة حصينة، اعتمدت عليها الكاهنة للوقوف ضد حسان بن النعمان فحاول الفاتحون الاستيلاء عليها. ينظر: صالح بن قربة و آخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، الجزائر ,المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية، د.ط، 2007، ص: 239.

2- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 15.

3- بومهلة تواتي، المرجع السابق، ص: 40.

4- **زواوة:** كبائل كثيرة و مشهورة و مواطنهم و مساكنهم بشمال إفريقية يجعلهم البحر.أ.م الممتد من خليج مدينة الجزائر إلى بجاية. ينظر: أبو يعلى الزواوي، **تاريخ زواوة**، تح:بوراي إسماعيل، الجزائر،د.د؛ 2007، ص ص: 31،32.

5- **كتامة:** نسبة إلى كتام بن برنس و هم أشد بأسا و قوة، و مواطنهم بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل الأوراس. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1421هـ،2000، ج :6؛ص: 195.

6- **عجيسة:** نسبة إلى عجيسة بن برنس و مدلول هذا الاسم البطن، لأن البربر كانوا يسمون البطن عدس بلغتهم و لما عربت قلبت دالها جيما مخففة.ينظر: بوزيان الدراجي، **القبائل الأمازيغية**، الجزائر, دار الكتاب العربي,د,ط،2007ج:2 ص: 129.

مأمون..."[1]، فمن خلال البكري نلاحظ مدى تأثير الاستقرار السياسي على تحقيق الازدهار الاقتصادي.

بعدها لم تعرف بجاية تاريخا ملحوظا حتى إلى غاية قدوم الحماديين[2] خاصة بعد انتقالهم من القلعة[3]، التي دمرت على يد بني هلال[4]، حيث توجهت أنظار الأمير الحمادي الناصر بن علناس نحو بجاية كملجأ و التخلص من بني هلال فرأى أنها موضع البلد و الدار السلطانية و غير ذلك فأمر ببنائها[5]، و لقبها بالناصرية[6].

7- أبي عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**:هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، ، بغداد، مكتبة المثنى د.ط، د.س، ص: 82.

1- **الحماديين**: نسبة إلى حماد بن بلكين بن زيري بن مناد البلتكاني الصنهاجي(ت 419هـ)، سنة 405هـ أعلن دعوته للعباسيين و أسقط الدعوة الفاطمية. ينظر: عثمان الكعاك،**موجز التاريخ العام للجزائر**؛تق:أبو القاسم سعد الله،بيروت؛ دار الغرب الاسلامي،ط:1؛2003؛ص:168 .

2- **القلعة**: من أكبر البلاد قطرا و أغزرها خيرا و أوسعها أموالا و أحسنها قصورا و مساكن وأعمها فواكه و خصبا كما تلقب كذلك بقلعة أبي الطويل. ينظر:الشريف الادريسي (أبي عبيد الله محمد بن عبد الله بن إدريس) ، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، 1994م، 1414هـ، ج :1,ص: 263. و إسماعيل العربي، **المدن المغربية**، الجزائر, المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ط؛ 1984، ص: 167.

3- **بنو هلال هم** :بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوران ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، ومن بطونهم بنو فروة و بنو بعجة، و بنو حرب، وبنو رياح الذين أفسدوا إفريقية. ينظر: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تح :عبد السلام محمد هارون، القاهرة,دار المعارف، ط:5، د.س، ص ص: 272 -275

4- أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630هـ)**الكامل في التاريخ**، بيروت، لبنان ,دار الكتب العلمية،ط:1 ، 2010، مج:8، ص: 89.

5- **الناصرية** :نسبة إلى الناصر بن علناس (481هـ-1088م) خامس ملوك الدولة الحمادية، دامت فترة حكمه 27 سنة. ينظر: رشيد بروينة، **الدولة الحمادية**، الجزائر ,ديوان المطبوعات الجامعية، د,ط, 1977م،1397هـ، ص: 66. انظر الملحق رقم:2؛ص:97.

لكن أهلها أبوا أن تدعى بذلك الاسم إلا باسمها القديم بجاية[1]و يرجع سبب تأسيس الناصر لبجاية إلى النتائج التي أسفرت عنها موقعة سبيبة[2] و لم يمض عليها وقت كثير حتى أصبحت عاصمة ظاهت عواصم الدنيا الاقتصادية و العلمية بعد ما نقل إليها الناس و كل المدخرات و العتاد، و حولها إلى منارة علمية قصدها العلماء من كل حدب و صوب خاصة من الأندلسيين و شمال إفريقيا و أوربا[3]، فأصبحت حاضرة تنافس مراكش في ازدهارها العلمي و الأدبي؛ ومن بين من برز في هذا المجال نذكر على سبيل المثال من العلماء الشاعر بن حمدين الصقلي و ابن تومرت([4] الذي مر ببجاية و أبي مدين شعيب المعروف بالغوث[5] و الصوفي محي الدين بن عربي[6].

6- أبو عبد الله الأعرج السليماني، **عبد القادر تاريخ الجزائر بين قيام دولة الفاطميين و نهاية ثورة الأمير** ، تح :حساني المختار، الجزائر، المكتبة الوطنية؛ د.ط؛د.س؛ ص: 89.

7- **موقعة سبيبة:** غرب القيروان التي هزم فيها الناصر أمام أبناء عمومته الزيرين أصحاب تونس سنة 457هـ. ينظر: عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد**، القاهرة ؛سوزلر للنشر و التوزيع، ط:2، 1991م،1411هـ، ص: 99.

1- صالح بلعيد و آخرون، **العلاقات العلمية و الحضارية بين زواوة و تلمسان، بجاية، تيزي** وزو، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع، 2011، ص 22. و حسين مؤنس، **ابن بطوطة و رحلاته**، القاهرة ,دار المعارف،د.ط؛د.س,ص: 33.

2- **ابن تومرت:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت المنعوت بالمهدي الهرغي، ولد بجبل السوس بأقصى بلاد المغرب و هو المؤسس الأول للدولة الموحدية ببلاد المغرب. ينظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان و أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، بيروت دار صادر؛د.ط؛د.س؛مج:5، ص ص: 45؛ 46.

3- **هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري**، الأندلسي، المالكي، المحدث، المتصوف، ولد بقطليانة سنة 509هـ، عاصر عبد المؤمن بن علي و يوسف و المنصور(ت 594هـ). ينظر: صالح بن قربة، **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**، الجزائر؛موفم للنشر، 2011، ص:30.

4- **محي الدين بن عربي الصوفي** ولد بمرسية سنة 1165م، درس الفقه و التشريع في اشبيلية من سنة 1173م،(ت 1240م).ينظر:كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**،تر: غيدا أمين فارس، لبنان؛دار العلم للملايين، ط1، 1948م، ص: 334.

كما نذكر أيضا كل من العلامة عبد الرحمن بن خلدون[1] و عبد المؤمن بن علي[2] وغيرهم كثير.

أما عن الرحالة فنجد الإدريسي وابن بطوطة و من الأوربيين نجد العالم الرياضي الإيطالي ليوناردو فيبوناتشي و الفيلسوف الإسباني ريمون لول[3] و مما ساعد على تعميرها رحيل الناس من إفريقية و على الخصوص من تلك المناطق التي دخلها عرب الهلالية وعاثو فيها فسادا وعلى رأسها القيروان و غيرها من المدن، كما أن سقوط صقلية في يد النورمان دفع بعدد من سكانها إلى الهجرة نحو المدن الساحلية للمغرب الإسلامي بما فيها بجاية، فساعد هؤلاء على ازدهار الحركة العمرانية حيث أقاموا قصورا لهم، وحتى المهاجرين الأندلسيين الذين توافدوا على بجاية شيدوا بها المنازل فغلب عليها الفن الأندلسي، و بما أن المدينة ساحلية فإن سلاطين الدولة الحمادية وجهوا عنايتهم إلى تحصينها فأقاموا عليها أسوارا جديدة يزيد محيطها عن سبعة كيلومتر.

أما فيما يتعلق بالقصور التي كانت ببجاية فقد ذكر أن الناصر بن علناس لما رأى الأميرة بلارة و علو همتها و كرم شملها، أنه ابتنى لها بقلعة بني حماد و بجاية قصورا شامخة و أحاطها بالحدائق الأنيقة فيها المروج و الريحان و من كل أصناف الفواكه.

أما المنصور بن الناصر الحمادي فكان هو الأخر مولعا بالبناء فاختط المباني و شيد المصانع و القصور، و يأتي في مقدمة هذه القصور التي شيدها المنصور قصر اللؤلؤة، و قصر ميمون، و قصر الكوكب الذي يعتبر من أجمل قصور بجاية[4].

5- **عبد الرحمن ابن خلدون**: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحسن ابن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، ولد بتونس عام 1332م-732هـ من أسرة أندلسية (ت 1406م/808هـ). ينظر: نور الدين حاروش، **تاريخ الفكر السياسي**، د.ب؛دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، د.ط ،2010، ص: 257.

6- **عبد المؤمن بن علي**: هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي، المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية بويع يوم الخميس14 رمضان 524هـ، (ت 558هـ) و دفن بتنملل.ينظر: مؤلف مجهول، **مفاخر البربر**، تح :عبد القادر بوباية، الرباط؛دار أبي الرقراق،ط1، 2005، ص: 208. و أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق، **المهدي بن تومرت**، الرباط؛دار المنصور، 1971، ص: 34.

7- صالح بلعيد و آخرون، المرجع السابق، ص: 33.

1- حساني مختار، **الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية**، عين مليلة، الجزائر ؛ دار المهدي،2011، ج:2؛ص: 12.

ومن بين الذين تناولوا هذه القصور صاحب كتاب الاستبصار الذي قال عن تلك القصور لم ير الراءون أحسن منها بناءا ولا أحسن موضعا، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد و الأبواب و المجالس المفرجة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب و الأزرود و كتبت عليها الكتابات المحسنة فجاءت من أحسن القصور منزها و جمالا[1]، وبالإضافة إلى القصور التي شيدت نجد كذلك العديد من المدارس كمدرسة جامع قصبة المدينة و غيرها .

وعلى هذا الأساس نجد الشاعر الحسن بن فكون القسنطيني[2] تغنى بجمال بجاية فقال:

دَعْ العرَاقَ وَ بَغْدَادَ وَشَامُهَا فَالنَّاصريَة مَا إنَّ مثْلُهَا بَلَدُ

بَرُّ وَ بَحْرُ وَ مَرَجُ للْعُيُون به مَسَارحُ بَانَ عَنْهَا الهَّمُ وَ النَّكَدُ

حَيْثُ الهوَى وَ الهوَاءُ الطَّلْقُ مُجْتَمَعُ حَيْثُ الغنَى وَ المنُى وَ العيشَةُ وَ الرَّغْدُ

فمن خلال هذه الأبيات يعطينا الصورة الخلابة عن جمال هذه المدينة و سحر مناظرها المتنوعة المحيطة بها، و بلغ به الإعجاب منتهاه فقال فيها بأنها لا نظير لها[3].

و يضيف السملالي في كتابه عن إعجابه ببجاية فيقول:

بجَايَة كُلُّهَا عقَابُ في أَرْضهَا عُقَابُ

يَخْفقُ في طُوقهَا فُؤَادُ كَخَرْنَق صَادَهُ عُقَابُ [4]

2- مؤلف مجهول، **الاستبصار** ، ص: 130.

3- **الحسن بن فكون القسنطيني**: شاعر و أديب نشأ بقسنطينة، امتاز شعره بالرقة و الحسن و خاصة في وصف الطبيعة. ينظر: أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص: 280.

1- نفسه ؛ص: 03.

2- العباس بن براهيم السملالي، **الأعلام بمن دل مراكش و أغمات من الأعلام**،الرباط،المطبعة الملكية ؛ط2، 1413هـ،1993م، ج1، ص: 11.

و بالإضافة إلى وفود علماء الأندلس إليها قدم كذلك من العراق، الشام، و العجم حتى قيل أنه وجد في بجاية تسعين مفتيا، فاشتهر ابن النماش البجائي بعلوم الفلسفة و الطبيعة و الطب فكان يجيد المعالجة و تركيب الأدوية[1].

كما أقيمت بها دارا "ترسانة" لصناعة السفن و المراكب البحرية لغناها بالأخشاب بسبب كثرة الغابات، و على إثر هذه الخيرات و الثروات أقامت بجاية علاقات تجارية عديدة فمثلا مع الأوربيين الفرنسيين الذين كانوا يشترون الشمع منها، و لهذا أطلق على بجاية اسم Bouju بوجي أي الشمعة[2]، كذلك كانت لها علاقة مع أبناء عمومتهم الزيريين[3] والمرابطين و المرابطين[4] حتى مع بعض الجمهوريات الإيطالية كجنوة و بيزا و غيرهم[5].

كما نذكر أحد الرحالة العربي الشريف الإدريسي لبجاية فيقول:"...و مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط و عين بني حماد، و السفن إليها مقلعة و القوافل بها منحطة و الأمتعة إليها برا و بحرا مجلوبة و البضائع بها نافعة، و أهلها مياسير تجار و بها من الصناعات ما ليس بكثير من البلدان، و أهلها يجالسون سكان المغرب الأقصى و تجار الصحراء و تجار الشرق، و بها تباع البضائع بالأموال و منشأ الأساطيل و المراكب و السفن و الحرابي...[6].

3- عبد العزيز شهبي، **تاريخ المغرب الإسلامي :مختصرات لطلاب الجامعة**؛الأبيار؛الجزائر؛مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، ط1، 1434هـ،2013م، ص: 61.

1- هايزيس فون مالستان، "**بجاية**" .تر:أبو العيد دودو؛الجزائر ، الاصالة؛ع19، مج:07، 2011، ع ص :39-45؛ص: 39.

2- **الزيريين:** نسبة إلى زيري بن مناد مؤسس الدولة الزيرية الصنهاجية، حيث لقب بالسلطان لإتصافه بالشجاعة و الحزم في شن الغارات على زناتة. ينظر:الهادي روجي ادريس، **دولة صنهاجة**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992،ج:1؛ ص: 39.

3- **المرابطين:** قبائل صنهاجة ملثمون الذين استقروا بالصحراء، و يسمون بذلك نسبة إلى الرباط الذي أسسه عبد الله بن ياسين. ينظر:محمد لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الأحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام**، تح سيد كسروي حسن، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2002م، 1424هـ، ص: 391.

4- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 260.

1- الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص: 260.

و يضيف الوزان في كتابه وصف إفريقيا عن بجاية فيقول:"...بجاية فيها جوامع كافية، و مدارس يكثر فيها الطلبة و أساتذة الفقه و العلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة و حمامات و فنادق و كلها صروح مثيرة حسنة البناء و أسواقها كذلك منسقة أحسن تنسيق..."[1].

لكن فترة الرخاء و الازدهار هذه تلاشت مع ذهاب السلاطين الحماديين، أمثال الناصر (ت 487هـ/1088م) وابنه المنصور(ت 498هـ/1105م) حيث سيطر على بجاية بنو غانية[2] سنة 580هـ فقاموا بتخريب جزء كبير من المغرب الأوسط بما فيها بجاية، فأصبحت هذه الأخيرة مدينة ضعيفة لا سيما في القرن السادس الهجري في عهد السلطان يحي بن العزيز[3]

حيث تحسر أهلها على ماضيها الزاهر[4] لتدخل بجاية تحت حكم الموحدين حيث توجه الداعي الأول للدولة الموحدية و هو ابن تومرت من قسنطينة بجماعته الصغيرة إلى بجاية سنة 512هـ، فنزل هناك بمسجد الريحانة حيث أقرأ أهل المدينة كتابا في علوم فقه أصول الدين[5] و بذلك أصبحت أصبحت بجاية قبلة للعلماء و محج الفقهاء في العهد الموحدي[6] خاصة بعد تدريسه للحديث إلى

2- الحسن الوزان(الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، بيروت، لبنان، ، دار الغرب الإسلامي ط2، 1983، ج:2؛ص: 50.

3- **بنو غانية**: من أعيان الملثمين أي ورثة المرابطين، امتلكوا جزيرة ميورقة إحدى جزر البليار حيث تولى عليها ولاتها، حيث كانت هذه المنطقة حصنا منيعا لمواجهة الموحدين. ينظر: علي بن موسى بن محمد، **المغرب في حلى المغرب**، بيروت، لبنان ؛دار الكتب العلمية، ، ط1، 1417هـ، 1997، ج:2؛ص: 381.

4- **يحي بن العزيز بن المنصور بن الناصر**: كان حليما فصيح اللسان و القلم ت 544 هـ، في عهده سقطت الدولة الحمادية على يد الموحدين. ينظر: رابح بونار"**تاريخ بني حماد**"،الجزائر؛الاصالة؛ ع:19؛2012 ؛ص: 95.

5- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 19.

6- سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي، الموحدون مصامدة السوس** بيروت، لبنان ؛الإسكندرية، جلال حزى و شركائه،ج:5 د.ط؛د.س ؛ص ص 166، 167. و لسان الدين بن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، ق3**، تح: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، د.ط؛1964، ص: 270.

5-ابن القطان، **نظم الجمان بترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح :محمد علي مكي، بيروت؛ دار الغرب الإسلامي، ط2، 1990، ص: 176.

جانب الوعظ مما دفع الناس للتقرب منه، و على ذلك نال إحترام فقهاء بجاية و من بينهم محرز و ابراهيم الزيدوني و إبراهيم بن محمد الميلي و يوسف بن الجزيري، خاصة بعدما أوضح لهم عدم التزين بزي النساء و هذا ما يؤكده ابن تومرت على حسب قوله:"لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام"[1] كما أنكر على الناس شرب الخمر و أكسر أوانيها و غيرها من العادات التي وجد أهل بجاية متمسكين بها، فكان شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع[2] و بعد وفاته في يوم الخميس الخامس و العشرون لرمضان عام أربعة وعشرين و خمسمائة[3].

وفي عهدالخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي (524-558هـ) أصبحت بجاية جزءا من ممتلكات الموحدين ؛هذا الأخير الذي تحرك إلى المشرق يرسم غزو بجاية تاركا على مراكش أبا حفص بن يحي و لم يشعر ابن حماد صاحب بجاية بقدوم عبد المؤمن إليه و تملكه للجزائر فسقط في يده فسار أمير المؤمنين عبد المؤمن حتى نزل بجاية ففتح له بابها أبو عبد الله بن ميمون المعروف بابن حمدون[4] فدخلها سنة 540هـ[5].

فاستمرت حالة الرخاء التي كانت تتمتع بها بجاية في عهد الموحدين و تعود هذه الحالة خصوصا إلى النشاط التجاري الذي كان سكان بجاية يمارسونه عن طريق ميناءها مع البلدان الأوربية

6- عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت**،د.ب؛ دار الغرب الإسلامي، ط1، 1403هـ، 1983، ص 80.

1- أبو العباس الناصري، **الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، ، الدار البيضاء، دار الكتاب؛د.ط؛ 1954، ج:2؛ص: 72.

2- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار و عبد القادر زمامة، الدار البيضاء؛دار الرشاد للنشر و التوزيع، ط1، 1399هـ، 1979م، ص: 106.

3- أبي الزرع الفاسي (أبي الحسن علي بن عبد الله)، **الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**، تر: كارل يوحن، أوبسالة بدار الطباعة المدرسية، د.ط؛1863، ص ص: 135، 136.

4- عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** (ت 647)، بيروت؛لبنان؛دار الكتب العلمية، ط2 ، 2005م، 1426هـ، ص: 144.

و البلدان المشرقية، فقد كان التجار الأوربيون يقصدون بجاية لشراء الصوف و الزيت والجلود و الرصاص وخصوصا كما قلنا شمع بجاية الذي ظل عدة قرون من أحسن وسائل الإضاءة[1].

إلى أن وافته المنية حيث دفن بتينملل[2] بجانب أبوه و تتوالى بجاية على بقية الخلفاء الموحدين كيوسف بن عبد المؤمن الذي أخذت له البيعة سنة 558هـ[3].فمثلا نجده عندما تولى الاهتمام بالشؤون الإدارية ببجاية ولى على بجاية أخيه أبي زكريا يحي سنة 561هـ ليهتم بأمرها[4]، كما كان مستوطنوا بجاية ينظرون إليها على أنها محل لرزقهم و عيشهم لما فيها من تلبية لحاجتهم و آفاقهم و هنا يقول المقري:"...إنها معينة على طلب الحلال..."[5].

فقد كانت بجاية في هذه الفترة تنعم باستقرار سياسي و رخاء اقتصادي و ازدهار تجاري و تقدم عمراني، كما حظيت مدارسها بنخبة من العلماء و رجال الدين الذين توافدوا عليها و درسوا فيها شتى علوم المعرفة[6] و هذا ما يؤكده العبدري عندما رحل إلى بجاية فيقول:"... وصلنا إلى مدينة بجاية بجاية مبدأ الاتفاق و النهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة شهيرة برية بحرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان

1- السيدة عالمة، "**نظرة على تاريخ بجاية**"، الجزائر؛الأصالة؛ع:19،2012؛ ص ص: 86، 87.

2- **تينملل**: رسمها ابن صاحب الصلاة بكلمتين: تين و ملل و هي مؤلفة بالبربرية، تين معناها ذات و ملل معناها الحواجز التي توضع على سطح الجبال يجعلها صالحة للزراعة و السقي، و هو الجبل الذي كان مهد الدولة الموحدية. ينظر: ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، تح :عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1987، ص: 305.

3- سعدون نصر الله، **تاريخ العرب السياسي في المغرب**، بيروت؛لبنان؛دار النهضة العربية، ط1، 2003، ص 305.

4- سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي (أبو يعقوب يوسف)**، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حزى و شركائه، د.ط؛د.س؛ج:6؛ص: 73.

4- المقري (أحمد بن محمد المقري التلمساني)، **نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح: احسان عباس؛بيروت؛لبنان؛ دار صادر، 1408هـ، 1988م، ، مج:7؛ ص: 141.

6- محمد الطاهر علاوي، **أبو مدين شعيب**، الجزائر؛دار الأمة، د.ط.، 2011، ص: 23.

، رفيعة المباني، غريبة المعاني، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة ، ينشرح الصدر لرؤيته يواظبون على الصلاة فيه مواظبة و هذا البلد محل جلة من العلماء أعلام..."[1].

و عليه عرفت مدينة بجاية محطات مختلفة لعب فيها حكامها وولاتها أدوارا في تنميتها و ضمان استمرارها، كقطب و مركز هام عبر عهود طويلة تميزت بها لتحتل بذلك حظوة كبيرة في أوساط باقي المغرب الإسلامي، خاصة الفترة الحمادية كما قلنا سابقا و تواصل ازدهارها إلى غاية دخول الحفصيين الذي نحن في صدد دراسته.

1- أبو عبد الله العبدري، **رحلة العبدري**، تح :علي ابراهيم كردي، تق :شاكر الفحام، دار سعد الدين للنشر، ط2، 2005، ص ص: 82، 83.

الفصل الأول: الحياة السياسية لبجاية الحفصية

المبحث الاول:أمراء بني حفص على بجاية.

المبحث الثاني: النظام السياسي والأنظمة الإدارية

المبحث الثالث:بجاية امارة مستقلة.

المبحث الرابع:العلاقات الخارجيةالسياسية لبجاية.

1-علاقتهم مع بنو مرين.

2- علاقتهم مع بنو زيان.

3-علاقتهم مع النصارى.

4-علاقتهم مع مصر.

1-أمراء بني حفص على بجاية.

شجعت الظروف التي تمر بها دولة الموحدين من اضمحلال و فتور إلى طمع بني حفص الذين ينحدرون من نسل الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، و هو من كبار رجال الموحدين مباشرة في السيطرة على المغرب باعتبارهم أحق الناس بذلك كونهم ينتمون إلى فرع المصامدة التي ينتمي إليها الخليفة عبد المؤمن و كذلك بنو حفص[1]، فكان أميرهم أنذاك هو أبو زكريا بن حفص[2] فتوجه إلى باقي المدن الإفريقية من أجل ضمها إلى ملكه، فنزل بقسنطينة و حاصرها إلى أن تمكن منها و ذلك سنة 626هـ/1223م[3] و بعد انتهائه من قسنطينة توجه إلى بجاية التي كان بها أبو عمران بن أبي عبد الله الخرصاني أخو والي قسنطينة السابق، فتمكن أبي زكريا من دخول بجاية و السيطرة عليها فعين عليها ابن عمه علي أو عمار بن موسى مؤقتا معد ما اعتقل آخر ولاة بني عبد المؤمن، و بذلك هيأت له هذه الظروف الفرصة بتأسيس دولته الحفصية التي امتدت شرق الجزائر، أما غربا فإلى العقبة التي تفصل طرابلس عن برقة و شمالا البحر الأبيض المتوسط و جنوبا بلاد الجريد[4].

بعدما أصبحت بجاية ملكا للحفصيين قام أبو زكريا بتولية بجاية لابنه يحي الحفصي، و ذلك سنة 628هـ/1230م لتصبح هذه المدينة التي يحكمها أمير من الأسرة الحفصية ؛الحاضرة الثانية للدولة الحفصية بعد الحاضرة الأولى تونس.

1- جورج مارسيه، **بلاد المغرب و علاقته بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر :محمود عبد الصمد هيكل،الإسكندرية منشأه المعارف،د.ط؛ 1999، ص 315.و عقيلة الغناى، **سقوط دولة الموحدين**، بن غازي، منشورات مجموعة قار يونس ؛
ط1، 1988، ص: 276.

2- عمار بن عمورة، **الجزائر بوابة التاريخ**، باب الوادي، الجزائر ؛دار المعرفة ،ج:2 ؛ص: 29.

3- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص ص: 302، 303.

4- بوتشيش أمينة، **بجاية دراسة تاريخية و حضارية ما بين القرنين السادس و السابع ميلادي**، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008/2007، ص: 30.عز الدين عمرموسى؛**دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي**؛بيروت؛دارالشروق؛د.ط؛1983؛ص:109.

فقد عمل أمير بجاية يحي الحفصي على الاعتناء بالمدينة نظرا لأهميتها الإستراتيجية، و لكونها ثغرا مهما بالجهة الغربية فيجب حمايته فأرسى بها الأمن ووسع حدودها[1].

فاستقام له حكم البلاد و ذلك نتيجة لما تميز به من حبه للعدل وغزارة علمه و حسن كفاءته السياسية، وهذا ما أهله على أن يسير بجاية و أعمالها على أحسن وجه، فقد كان حازما في آراءه، أديبا، راجح العقل، أصيل الرأي، موفقا في تدابيره[2].

كما انتشرت شهرة بجاية أكثر في عهده و انتعشت تجارتها و توسعت علاقاتها مع مختلف الدول المشرقية و المغربية و استمرت في ذلك إلى غاية وفاته سنة 647هـ/1249م ببونة[3] و يقول ابن الخطيب عنه أنه عظم شأنه إثر وفاة ابنه سنة 646هـ/1248م، و قد كتب أبيات شعرية كان يرددها في رثاء ابنه منها ما يلي:

أَلَا جَازِعَ يَبْكي لفَقْد حَبيبه فَإنّي لَعُمْري قَدْ أَضَرَّني الشَّكْلُ

لَقَدْ كَانَ لي مَالُ وَأَهْلُ فَقَدْتُهُمْ فَهَا أَنَا لَا مَالَ وَلاَ أَهْلُ

سَأَبْكي وَ أَرْثَي حَسْرَةً لفُرَاقهمْ بُكَاءَ قَرِيحًا لاَ يَمَلُ وَلاَ يَلُ[4]

1- عبد الرحمن بن خلدون، **تاريخ الجزائر في القرون الوسطى من كتاب العبر لثلاثة أجزاء**، تق :سعيد دحماني، الجزائر، عنابة منشورات بونة للبحوث و الدراسات ، ط:1،1432هـ، 2011م، ص: 375.

2- لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح :محمد عبد الله عنان، القاهرة، الشركة المصرية للطباعة و النشر ط:2، 1393هـ، 1973م،مج:1؛ ص: 313.

3- محمود السيد، **تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، الجزائر، المغرب، موريطانيا** ، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ؛د.ط، د.س، ص: 158.

4- لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة**، مج:1؛ص: 313.

ليقوم من بعده على بجاية محمد بن أبي زكريا الملقب بالمستنصر بالله[1] (647،675هـ) فعمل على تحصين بجاية و مدها بالعدد و العدة بهدف تقويتها، و قد تسمى بالأمير و لم يتسم بأمير المؤمنين إلا في آخر سنة خمسين وستمائة 650هـ/1252م وعند توليته عين على بجاية أخاه أبا إسحاق الحفصي عليها، لكنه كان يشرف عليها بنفسه و الاستقرار و المكوث بها تارة و بالحاضرة تونس تارة أخرى.

في سنة 650هـ/1253م تحرك الأمير المستنصر بالله إلى بجاية فدخلها فأدهشته معالمها و أثار أخيه زكريا المتواجد بها[2] و هنا تدخل بجاية بدورها في الحياة السياسية لدى الدولة الحفصية حيث جهز الأمير أبو إسحاق أمير بجاية جيشا من المجتمع البجائي سنة 659هـ/1263م لمساعدة جيش تونس القادم لإخضاع إقليم مليانة [3] التي ثار حاكمها و خلع طاعته للحفصيين وبالفعل قد استطاع هذا الجيش أن يقوم بدور هام في إخماد الثورة.

بعدها قام أبو إسحاق بتعيين أحد الثقاة من البربر عليها و هو أبو هلال عياد بن سعيد الهنتاتي[4] و ذلك سنة 660هـ/1264م.

1- محمد الهادي شريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تح :محمد الشاوس، تونس ؛دار سراس للنشر و التوزيع، ط:3، د.س، ص: 53.

2- ابن القنفد القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تح وتق: محمد الشاذلي النيفر و عبد المجيد التركي، الإسكندرية، الدار التونسية للنشر؛د.ط؛ 1968، ص: 117.

3- **مليانة**: مدينة رومانية قديمة و حسب أوصاف الجغرافيين يقول الطاهر طويل فقد كانت مدينة كبيرة من بنيان الروم ، جددها زيري بن مناد و فيها آثار قديمة. ينظر: الطاهر طويل، **المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط**، الجزائر، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية و الإعلامية،د.ط، 2011، ص: 274.

4- **الهنتاتي**: نسبة إلى قبيلة هنتاتة إحدى فروع المصامدة، و شيخهم أبي حفص عمر بن يحي و كان موطنهم بجبال درن. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص: 360.

الجدير بالذكر أنه بعد ثماني سنوات قام صاحب بجاية رفقة جيشه بالتصدي للهجوم الصليبي الذي قام به لويس التاسع ضد تونس سنة 668هـ/1270م، فحينها ساعد الجيش البجائي الجيش التونسي على دحر الصليبيين أثناء حملتهم الثامنة.

ظل أمير بجاية محمد بن أبي هلال المسؤول الأول عن الإمارة في عهد السلطان المستنصر بالله إلى غاية سنة 675هـ/1277م[1] حيث وافته المنية.

ليعتلي عرش السلطنة مكانه الأمير أبو زكريا يحي الثاني الملقب بالواثق بالله، فكان أول شيء قام به كغيره من الأمراء أن يسرح أهل السجون، كما أمر برفع المظالم و الشروع في بناء جامع الزيتونة [2]، كما أخذ في مضايقة أمير بجاية و عمل على التخلص منه بالدس له وسط كبار شيوخ الموحدين إلى أن نجح في عزله و عين مكانه ببجاية واليا من أصل أندلسي ، هو أو علي إدريس الذي كان مرفوضا أصلا من سكان بجاية لأنه أساء معاملة البجائيين و أعيانهم و كبار شيوخ الموحدين[3] فأثار نقمة السكان عليه، والتفوا حول أميرهم السابق محمد بن أبي هلال الهنتاتي.

كما أن شخصية سعيد بن يوسف بن أبي الحسن وزير المالية في عهد المستنصر لعبت الدور الأول في مبايعة الواثق و التي كانت ليلا مباشرة بعد وفاة المستنصر[4] و لا يستبعد أن تكون أعمال سعيد بن أبي الحسن تستهدف أغراضا شخصية أكثر مما تستهدف مصلحة الدولة، لما يعرفه عن يحي الواثق من ضعف الشخصية و قلة التدبير ووهن العزيمة و بذلك يمكن له أن يستبد بالأمر من دونه و يصبح الملك الغير متوج في عهده.

1- محمد عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ط؛ 1405هـ،1985م، ص: 125.

2- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح و تق :الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، د.ط؛1984، ص: 74.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 24.

4- ابن قنفد القسنطيني، الفارسية، ص: 134.

و سعيا من مستشاري يحي الواثق في اكتساب الرأي العام بعد توليته أمر الواثق برفع المظالم و أحسن إلى رجال الجيش و الجند و أبطل الكثير من الضرائب و أمر بإحراق دفاترها ، لكن هذا لا يكفي وحده في تسيير شؤون الدولة و تدبير الحكم فغلب على أمره بعد استمراره في الحكم لمدة سنتين و ثلاثة أشهر و عشرين يوما[1] لتجبره الأحداث على التنازل عن الملك لصالح عمه أبي إسحاق إبراهيم الذي كان أحد قادته و ذلك يوم الأحد الثالث لشهر ربيع الثاني من عام ثمانية و سبعين و ستمائة[2].

تواصل الصراع بين الأمير الهنتاتي صاحب بجاية و السلطان أبي زكريا يحي الواثق الذي كان قد أرسل له رسولا لأخذ الجباية من إمارة بجاية، فنجد الهنتاتي عمد إلى قتل ذلك الرسول مما أغضب هذا الفعل السلطان و اعتبر هذا العمل إعلانا للتمرد و خلعا لطاعته.

و خشية من ضياع هذه الإمارة و انفصالها عن السلطنة بعث أبي زكريا الواثق رسولا إلى بجاية لتهدئة الأوضاع، و لإجراء تحقيق حول اغتيال واليها السابق و أثناء ذلك أقدم سكان بجاية رفقة محمد بن هلال الهنتاتي غلى مراسلة الأمير أبي إسحاق إبراهيم 678هـ/1279م[3] المتواجد بالأندلس ثم تلمسان و طلبوا منهم القدوم لأجل مبايعته، فرحب بالمبادرة وأسرع صوب بجاية فدخلها ولقي بها ترحيبا من قبل أهلها فبايعوه أميرا عليهم، فكان أول من بايعه على الملك مضيفه يغمراسن بن زيان[4].

1- محمد العروسي المطوي، **السلطنة الحفصية (تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي**،بيروت؛لبنان؛ دار الغرب الإسلامي، د.ط؛1406هـ،1986م، ص ص: 230،231.

2-ابن قنفدالقسنطيني، **الفارسية**، ص: 135.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 24.

4- **يغمراسن بن زيان:** زعيم آل زيان، تولى رئاسة القبيلة سنة 633هـ فكان أعظمهم مكانة، جعل من تلمسان قاعدة لإمارته. ينظر: محمد بن عمرو الطمار، **تلمسان عبر العصور**، الجزائر؛المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ط؛ 1984، ص: 80.ابن خلدون؛**العبر**؛مج:7؛ص:162.

عند سماع السلطان أبي زكريا الثاني الواثق بالخبر فاهتز عرشه و أدرك خطورة الوضع بالحاضرة، فبادر الواثق بتجهيز جيش تحت قيادة عمه الأمير أبي حفص عمر و أرسله نحو بجاية لملاقاة الأمير أبي إسحاق إبراهيم، لكنه انهزم أمام هذا الأخير و انتصر جيش بجاية فبايعوه بالملك، بعدما خلع الأمير السابق نفسه و ذلك في الثاني عشر من شهر جويلية 1279م/678هـ[1].

وهنا يظهر جليا الدور الذي قامت به بجاية سواء على المستوى السياسي أو العسكري، باعتبارها قاعدة الدولة الحفصية الغربية و عاصمة الإقليم الغربي للسلطنة، بل لم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلى استتاب الأمن والاستقرار السياسي كإخماد تمردات أمراء قسنطينة[2] كتمرد أبي بكر بن الوزير سنة 680هـ/1282م.

وقد ثار هذا الأخير ضد أمير بجاية آنذاك أبي فارس عبد العزيز الذي عينه أبوه أبي إسحاق إبراهيم 679هـ/1281م بعدما حاول أبي بكر الانفصال بقسنطينة و اغتصاب الحكم من تونس، كما أنه اتصل بملك أرغونة "بيار الثالث" لمساعدته مقابل إعطائه منح إن نجح في ثورته ونظرا للأطماع الإسبانية في تلك الفترة وافق على ذلك دون تردد، فأعلن نيته في إرسال قطع بحرية من أسطوله و قوات عسكرية تكون سندا لوالي قسنطينة[3] و غيرها من أمور الفساد، كما أنه ارتد عن دينه حتى قيل أنه أكل الخنزير فظهر منه ما يدل على نفاقة من رد الأوامر السلطانية و أنه كثير النهب لأهل البلد، وعلى هذا الأساس ضرب أبو الفارس عنقه في يوم الجمعة الثامن من شهر ربيع الأول، و رفع

1- ابن أبي الدينار(أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1286م، ص: 131.

2- **قسنطينة**: من مشاهير بلاد إفريقية بين تيجس و ميلة، و هي مدينة أزلية أولية فيها أثار للأول، كثيرة الخصب، كما أنها حصينة في غاية الحصانة. ينظر: **الحميري**، المصدر السابق، ص: 480.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 28.

رأسه و رأس أخيه عمران إلى تونس ثم قفل راجعا إلى بجاية موليا على قسنطينة الشيخ أبا محمد عبد الله بن بوفيان الهرغي[1].

لكن متاعب السلطان أبي إسحاق لم تنته؛ فلم يمضي وقت طويل حتى ثار أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة الميلي (الداعي)[2] ؛حيث سولت له نفسه أن يدعي أنه من أبناء الواثق الحفصي، كما ادعى تحويل المعادن إلى ذهب و أنه هو المهدي المنتظر، و أنه الفضل بن الواثق[3]؛ وكان الفضل قد قتله السلطان أبو إسحاق و كان هنالك من الموالي من أيده في دعواه هذه ونهضوا معه ضد أبي إسحاق إبراهيم ، فدخل الناس في طاعته فكثر أتباعه مما حتم على السلطان أبي إسحاق التصدي له، حيث لأرسل جيشا لمواجهته لكن الداعي انتصر عليه فتمكن من الدخول إلى الحاضرة بتونس واتخذ الوزارة و الحجابة و قبض على صاحب الأشغال أبي بكر بن الحسين بن خلدون فقتله، كما تغلب على قابس سنة 682هـ/1283م و طرابلس و بعد افتتاحهما كانوا قد بايعوه أول أتباعه، فأصبحت كل من طرابلس و قابس تحت يديه[4] لتتوجه أنظاره بعدها إلى غزو بجاية.

أما السلطان أبي إسحاق فقد توجه ملتجئا إلى ولده أبي فارس، فاغتنم ابنه الفرصة و ضغط عليه حتى تنازل له عن العرش فكانت له البيعة في آخر ذي القعدة من سنة 681هـ/1282م من قبل كبار شيوخ الموحدين، و لقب نفسه "المعتمد بالله"، و بذلك أضحى السلطان أبو فارس الأمل

1- ابن قنفد، الفارسية، ص ص: 139، 140.

2- **الدعي**: ولد ونشأ ببجاية سنة 642هـ أمه فرحة من فزان، فكان محترفا بمهنة الخياطة و التنجيم و بتخطيط الرمل. ينظر: ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص: 349.

3- **الفضل بن الواثق**: هو الفضل بن أبي زكريا يحي الواثق بن المستنصر بالله. ينظر:الزركشي (أبي عبد الله محمد بن براهيم)، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح وتع :محمد ماضون، تونس ؛المكتبة العتيقة، ، ط2، د.س؛ص ص: 46، 47 .

4- الوزير سراج (أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1287م، ص: 159.

الأخير بيد الحفصيين للحفاظ على وحدة الدولة و تخليصهم من الداعي أبي عمارة مغتصب الحكم بحاضرة تونس[1].

لقد أعد أبو فارس عبد العزيز العدة و نظم صفوف الجيوش وانطلق بهم صوب الداعي[2] الذي حالفته القبائل العربية من رياح و زغبة، تاركا إمارة بجاية لأخيه الأمير أبي زكريا الثاني ومن جهة أخرى خرج الداعي في جيش ضخم اثر سماعه بخبر ترك بجاية نحوه[3] فالتقى الجمعان في سهول مرمجنة[4] في ربيع الأول 682هـ/1283م، حيث قتل السلطان أبو فارس عبد العزيز و....رأسه إلى الداعي.

فلما وصل خبر الهزيمة إلى بجاية اضطربت أحوالها و عمد سكانها إلى الفتك بكل من كان مقربا من أمير بجاية السابق، و نصبوا عليهم قائدا جديدا مواليا للداعي "محمد بن السيد" و شرعوا في البحث عن أبي إسحاق الذي فر مع إبنه أبي زكريا قاصدين تلمسان[5]، لكن الثائرين استطاعوا القبض عليه في بني غبرين بينما نجا ابنه أبو زكريا يحي.

إن الفترة الزمنية الممتدة بين 681هـ-683هـ عاشت فيها المملكة الحفصية بشطريها الشرقي و الغربي تحت حكم الداعي، الذي مارس سياسة الاضطهاد ضد الأمراء الحفصيين و ضد كبار الموحدين فتنكرت له القبائل التي حالفته في السابق، فلجأ هؤلاء العرب إلى قلعة سنان أين كان الأمير

1- مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، الجزائر، شركة دار الأمة، د.ط، 2010، ج:3؛ص: 928.

2- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، بيروت ، دار مكتبة الحياة، ط2، 1385هـ، 1965م، ج:2؛ص: 96.

2- أحمد بن زيني دحلان، **تهذيب تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية**، شركة دار المشاريع للطباعة والنشر، ط2، 1427هـ، 2006، ص: 342.

3- **مرمجنة**: مدينة بإفريقية و هي كبيرة قديمة أولية، و فيها أثار الأول و بها عيون سائحة وهي على نظر واسع كثير الخيرات. ينظر:الحميري، المصدر السابق، ص: 540.

5- **تلمسان**: وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز، و لها خمسة أبواب وهي قاعدة المغرب الأوسط و لها أسواق و مساجد (الجامع). ينظر: البكري، المصدر السابق، ص: 76.

أبو حفص فبايعوه سنة 683هـ/1284م عليهم[1] و بعدما تيقن أن الداعي متواجد بتونس تمكن من القضاء عليه نهائيا، و هنا يقول ابن الخطيب في أبيات شعرية في وصفه لثورة الداعي على أنها:

غَرِيبَةٌ منْ لَعب اللَّيَالي مَا خَطَرَتْ لعَاقل ببال[2]

و تلقب أبو حفص بالمستنصر بالله خلال فترة حكمه[3] لكنه لم يتمكن من البقاء طويلا في كل أعمال إفريقية، لأن أبو زكريا يحي الثالث ابن إسحاق المتواجد عند صهره الملك الزياني عثمان بن يغمراسن تقاسم معه الملك باعتباره الوريث الشرعي للحكم بعد وفاة أبيه السلطان أبي إسحاق إبراهيم، و بعد مساندة القبائل كالداودة ورغبة ترك تلمسان و توجه صوب بجاية في أواخر سنة 683هـ/1284م، وبالفعل تمكن من دخولها و امتلاكها و نفس الشيء بالنسبة لقسنطينة، وليتلقب حينها "بالمنتخب لإحياء الدين" وبذلك تكون الدولة الحفصية قد انقسمت إلى شطرين الشرق عاصمة تونس أميرها أبو حفص و الغرب عاصمته بجاية و قسنطينة أميرها أبو زكريا بن إسحاق إبراهيم[4].

1- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص 352، و محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 29.

2- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص: 319.

3- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص: 319.

4- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص: 394.

I.الأنظمة السياسية و الإدارية:

نجد أن الحفصيين حافظوا على الكثير من نظم الموحدين الإدارية، بل إن مؤسس الدولة ابن تومرت ظل يذكر اسمه في خطبة الجمعة حتى القرن الرابع عشر، واستمر وجود الدعاة الذين يعرفون بمشايخ الموحدين[1] والتي كانت بمثابة المقام الأول أي مركز استشاري ضروري و بذلك لعبوا دورا كبيرا في قيادة البلاد الاجتماعية و السياسية، فكثيرا ما كان الخلفاء يلتزمون بما يشيرون به[2].

أما البلاد فنجد أنها انقسمت إداريا إلى ثلاثة مقاطعات، و من بين هذه كانت القبائل البدوية تتميز بنظام إداري خاص يتضح في دور رئيس القبيلة و هو نائب الحكومة، فكان أهل البدو يمثلون مشكل عسير بالنسبة للدولة الحفصية خاصة أثناء الصراع العائلي على السلطة، لأن كل رئيس قبيلة بدوية كان ينضم إلى أحد الأمراء المتنافسين.

عرفت الدولة الحفصية نظاما سياسيا دقيقا ظهرت فيه معظم المناصب الرئيسية المعروفة في أشكال الحكم، و قد حرصت الدولة الحفصية منذ أن أستقل بها حاكمها الأول أبو زكريا أن تظهر بصورة الدولة المتفرعة عن الدولة الموحدية ، فنجد أن ملكها الأول لقب بالأمير ثم بالخليفة و بلقب السلطان و أمير المؤمنين[3] فملكها الأول لقب بالأمير ثم بالخليفة، أما عن من تلقب بأمير المؤمنين من ملوك هذه الدولة هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي زكريا يحي بن عبد الواحد الشيخ أبي حفص، و ما اتخذ هذا اللقب لنفسه إلا بعد ما تعطلت في زمنه الخلافة في سائر الأقطار، حيث زالت دعوة الخلافة من الأندلس، و من المغرب الأقصى بزوال دولة بني عبد المؤمن و استيلاء

1- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي(بني حفص و بني زيان و بني مرين)**، القاهرة، مكتبة مدبولي ط1، 1414هـ، 1994م،ج:5؛6 ؛ص: 93.

2- عز الدين عمر موسى، **الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم**، دار الغرب الإسلامي، د.ط،د.س، ص: 91.

3- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص: 94.

المرينيين؛ ومن مصر بالقضاء على دولة الفاطميين[1] ومن بغداد أيضا باستيلاء التتار[2] عليها سنة 658هـ/1258م، فانقرضت خلافة بني العباس فبادر شرفاء مكة بمبايعة الأمير الحفصي بالخلافة 659هـ و حكام الممالك في السنة التالية[3] ثم تواضع ملوك هذه الدولة أمام قداسة لقب الخليفة فاتخذوا لقب السلطان[4].

و ينحصر نظام الحكم في تقسيم الدولة إلى ولايات يعهد بها إلى حكام ؛هم أبناء السلطان أو إخوته أو من سلالة بني حفص ؛مع منحهم سلطات مطلقة، كما أن السلطان يحكم بواسطة لجنة العشرة والتي كانت من أهم المجالس الموحدية[5].

كما اهتمت الدولة الموحدية منذ عهد عميدها الشيخ أبي حفص بأن تنسب إلى قريش و إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لهذا نجد هناك من ينعتها بالعمرية أو الفاروقية و كان ولي العهد هو خليفة الغد، عرفته الدولة الحفصية واعتبرته وسيلة سياسية لتولي الحكم و الذي يدرس تاريخ الأسرة الحفصية و تسلسل الحكام والسلاطين الذين تولوا السلطة، كما نجد أن نظام ولاية العهد إنما يكون غالبا لأحد أبناء الخليفة السابقين أو إخوته أو أحفاده أي حكم وراثي، و أن مشكلة ولاية العهد التي كان يعهد فيها الخليفة إلى من يراه وريثا للحكم من بعده قد أدت إلى مشاكل كثيرة ومنها خروج

1- **الفاطميين**: هم من ادعوا نسبهم إلى فاطمة و علي رضي الله عنهما، أسسوا دولتهم بالمغرب 297هـ/909م، على أساس الفكر الشيعي كما لقبوا كذلك بالعبيديين.ينظر: القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، تح: فرحات الدشراوي؛الجزائر ؛ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، د.س؛ص ص: 117، 129

2- **التتار**: هم من المغول نزلوا بغداد و استولوا عليها و من بينهم هولاكو المشهور. ينظر: إيناس حسن البهجي، **دولة المماليك البداية و النهاية**،الاسكندرية؛ دار التعليم الجامعي، د.ط، 2015م، ص: 124 .ابن كثير(أبي الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي)، **البداية و النهاية**، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، دار ابن حزم ؛د.ط، ج4، ص: 28.

3- عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**؛المغرب ، الدار البيضاء، ط :2 ، 2009م، ص: 356.

4- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 82.

5- عز الدين ميدون، **عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري**، تلمسان، دار السبيل للنشر و التوزيع؛د.ط؛ 2011، ص: 20.

بعض الحفصيين على ولاية العهد، بل البيعة و استيلاءه على الحكم من حفصي آخر مثلما فعل أبو العباس أحمد ضد أبي البقاء خالد الثاني و كذلك عزل الابن لأبيه بعد عهده إليه بالولاية[1].

وقد اعتمد نظام الحكم الحفصي الخليفي في البلد إدارته لزمام الأمور على هيئة مستشارين و على مناصب عدة، فكان الأمراء كثيرا ما يستشيرون من المعاونين و منهم أشياخ البساط وهم مجموعة من المقربين للخليفة الحفصي، كما أنه يعتمد كذلك على شيخ الدولة و كبيرها و لهذا وصلت مرتبته إلى مكانة عالية[2] و لهذا نجدهم يحرصون على اختيارهم أصلح العناصر الحفصية الممتازة كما كان لهؤلاء الأشياخ النظر في تولية الأمراء و عزلهم بل حتى تولية قواد العسكر و الحروب و الديوان[3].

كما أن هناك أيضا وظيفة الحاجب[4] و التي تعد وظيفته وظيفة خاصة إذ كان يشرف على قصر الخليفة و يلعب دور الوسيط بينه و بين الحكومة، أما المحتسب أو صاحب السوق كما يعرف كونه كثير النظر لما يجري في الأسواق من غش و خديعة و تفقد المكيال و الميزان[5].

لهذا فإن معظم وظيفة المحتسب تدور بالأسواق، فهو من شأنه الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر[6].

المنكر[6].

1- عبد الفتاح مقلدالغنيمي، المرجع السابق، ص: 94.

2- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص: 92.

3- عبد الرحمن جيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 11.

4- **الحاجب**: لتوليه وظيفة الحجابة ويقصد به البواب و الحاجب اسم فاعل من الحجب، يطلق عليه كل من يقف على باب السلطان و يوصله الأخبار من الرعية و يأخذ الإذن لهم منه. ينظر: إدريس سليمان محمد، **نظام الحجابة في الدولة العربية الإسلامية**،عمان؛ المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 1435هـ، 2014م، ص: 11.

5- سعيد بن حمادة، "**جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية و الدينية بالمغرب الإسلامي**".الجزائر؛ عصور الجديدة، ع:5، 2012، ع ص:71-80؛ص: 71.

6- موسى لقبال، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها و تطورها**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ؛ط:1، 1971، ص: 255.

تطبيقا **لقوله تعالى" وَلْتَكُنْ مِّنْكُمُ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ"**[1]، كما اختص الحسبان والديوان برتبة أخرى و يسمى متوليها بصاحب الأشغال.

أما الوزارة فقد عرفت الدولة الحفصية هذا النظام و هو على ثلاثة مراتب حيث اختص أحدهم بالجيش[2] و الجيش عندهم متكون من العرب و البربر و غيرهم و فيه من الإفرنج أيضا، فلقد بلغ عدد الفرسان أيام أبي زكريا الأول إلى سبعين ألف فارس، أما الثاني اختص بديوان الأموال فإنه منوط صاحب الأشغال[3]، ولصاحب هذه الخطة النظر في مالية الدولة من دخل وخراج وهو المسؤول عن استخلاص الأموال والمحاسبة باسم الحكومة، وله التفويض التام و السيطرة المطلقة على جميع من دونه مرتبة من ولاة المراتب الإدارية ويشترط فيه أن يكون من عصبة الموحدين الأوليين، ولقد بلغت ثروة خزينة الحكومة أيام أبي زكريا يحي الأول نحو التسعة عشر مليون دينار، فأغلب موارد الخزينة الحفصية من الزكاة والخراج و الجبايات و هي متنوعة إلى ذهب و فضة وإلى فلوس نحاسية أحدثها السلطان أبو زكريا الأول.

وكان لا يحصل على رياسة القلم في الدولة إلا من يحسن الإنشاء العربي و يجيد صناعة الكتابة و الترسيل مع شرط الأمانة و كتم الأسرار[4] واختص الثالث بالإشراف على الدواوين و تيسير الأمور بها و معها الإشراف على الأمن، ولذا كان منصب الوزير مطمعا لكثيرين دبروا المؤامرات للحصول عليه، وكانت مكانته أقل من رياسة الدولة و الحجابة ويورد عبد الفتاح أن ابن فضل الله عن الدولة

1- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية: 104.

2- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص: 96.

3- روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من ق13 إلى نهاية ق 15م**، تر :حمادي الساحلي، بيروت، لبنان ؛دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ج:1؛ص: 111.

4- عبد الرحمن جيلالي، المرجع السابق، ص ص: 09، 10.

الحفصية بها ثلاثة وزراء للدولة:وزير الجند و الجيش و وزير المالية، ووزير القصر[1] وكان وزير القصر يختص بشؤون الكتابة و العلامة في أعلى الكتاب بالقلم الغليظ بعد البسملة و هي "الحمد لله و الشكر لله" كما توضع أيضا في ختام بعض الرسوم، و من المشاهير من تولاها عبد الرحمن بن خلدون والتي يقول في إحدى المجلات أن هذه الوظيفة بالرغم من أنها لا تقتضي الكثير من العمل، إلا أنها فتحت له لأول مرة باب مجالسة أهل الدولة والإطلاع على خفايا الأمور الإدارية و غيرها من شؤون الحياة العامة[2]، موضحا الظروف التي مهدت له المغادرة من تونس و التوجه نحو بجاية من أجل وظيفة كتابة العلامة بعدما استدعاه السلطان الحفصي أبي إسحاق و الحاجب أبي محمد تافركين[3].

كما كان للاستقبال في القصر مراسم مختلفة تشدد الخلفاء في رسمها، فقد كان للدولة راية بيضاء[4] و هو العلم المنصور يرفع إلى جانب السلطان في المواكب من سبعة أعلام ملونة أحمر، أصفر، أخضر، فلكل قبيلة منها علم تمتاز به لتعرف من بين الآخرين، مكتوب فيها الشهادة أو عبارة الملك لله و ما شابه ذلك و هناك الطبول و البوقات...[5]، كما كان للأمراء حرس خاص يحيط به إذا خرج[6].

1- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص: 96.

2- علي عبد الواحد الوافي، "**دقة ابن خلدون و صرامته في شؤون العلم والقضاء**"، الجزائر؛الأصالة، ع :19، 2012؛ع ص: ص: 220 و محمد سعيدون، "**إقامة ابن خلدون في بجاية و دوره فيها**،"الجزائر؛ الأصالة، ع :19 ، 2012؛ ع ص: ص: 220.

3- عبد الحميد حاجيات، "**ابن خلدون في بجاية**"، الجزائر؛الاصالة؛ع:19؛2012؛ع ص: ص: 193.

4- انظر الملحق رقم3 ص:98.

5- القلقشندى (أبي العباس أحمد)؛ **صبح الأعشى في صناعة الانشى**، القاهرة، دار الكتب الخذبونية، د.ط، 1322هـ، 1915م، ج5، ص: 143.

6- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، المرجع السابق، ص: 96.

أما بالنسبة للقضاء فنجد الحفصيين لا يتركون القاضي في منصبه أكثر من عامين، و ذلك لوصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وليكثر المتدربون على القضاء و يكونوا إلى العدل أقرب[1] ومن أشهر من تولوا القضاء في بجاية نجد أبو العباس الغبريني، فكان في حكمه شديدا، مهيبا ذا معرفة بأصول الفقه و حافظا لفروعه، و قيام على النوازل و تحقيق للمسائل[2].

II. بجاية إمارة مستقلة:

أصبحت بجاية إمارة مستقلة تحت إمارة أبي زكريا الثاني 683هـ/1187م الملقب بالمنتخب لإحياء الدين، و كان حسب العديد من المؤرخين حازما و عالما يشرف بنفسه على أحوال دولته[3] و في هذا الوقت انقسمت فيه الدولة الحفصية جبهتين شرقية و غربية سنة 683هـ/1187م، فانتصب بحاضرة تونس أبو حفص بن أبي زكريا بعد الدعي واستقل بالناحية الغربية أي بجاية و الجزائر و قسنطينة أبو زكريا بن أبي إسحاق الذي وضع أبي الحسين بن سيد الناس حاجبا له[4] فكان له شأن كبير في تسيير أمور الدولة، فعرفت بجاية في عهده استقرار سياسي و رخاء اقتصادي و ازدهار حضاري عكس ما كانت تمر به الجهة الشرقية من فتن و اضطرابات.

إن استقرار الأوضاع السياسية بإمارة بجاية المستقلة جعل من صاحب إقليم الزاب[5] المنصور بن بن مزني ينفصل عن الحاضرة تونس و ينضم بأقاليمه الواسعة إلى إمارة بجاية و بذلك امتدت حدودها إلى منطقة الجريد في الجنوب التونسي.

1- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص: 932.

2- أبو العباس الغبريني، المصدر السابق، ص: 10.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 30.

4- ابن قنفذ القسنطيني ؛**الفارسية** ، ص: 22.

5- **الزاب**: كورة عظيمة و نهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم، عليه بلاد واسعة و قوى متوطنة. ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص: 124.

و لأن أبا زكريا يحي الثاني صاحب بجاية كان يرى نفسه أحق بالسلطة الحفصية كلها، فسعى إلى توحيد كل المملكة بشقيها الشرقي و الغربي فانطلق من قاعدة بجاية و بمساعدة جيشها و سكانها نحو تونس 686هـ/1190م و فرض عليها الحصار، لكن عندما بلغه خبر استعداد صهره الزياني للزحف عليه جعله يعجل بالعودة إلى حاضرته لمساعدة حاجبه أبي الحسن سيد الناس، الذي نظم الصفوف و حال دون سقوطها بين أيدي السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن[1]، واكتفى السلطان بتخريب قراها و قفل راجعا إلى تلمسان ليكتسب بذلك ابن سيد الناس محبة الرعية له إلى أن وافته المنية سنة 690هـ.

و مهما كان من الأمر فإن الأمير أبا زكريا استطاع أن يجعل من القبائل العربية بعد استمالتها إلى جانبه ورقة ضغط رابحة في يده يستعملها في وجه خصومه بتونس، حيث شنوا حملات و هجومات على المملكة الحفصية بتونس التابعة للأمير أبو عصيدة[2] و الذي لقب بالمستنصر أيضا و شكلوا خطرا على استقرار أوضاعها، فقام أبو عصيدة بدوره في تحريك خيوط اللعبة السياسية حيث استنجد بني مرين من المغرب الأقصى لتشديدي الخناق على إمارة بجاية و محاولة القضاء على ثورات الأعراب، و هذا ما يسعى إليه بنو مرين.

1- **أبي سعيد عثمان بن يغمراسن:** ولد سنة 639هـ/1241م، و كانت مبايعته بالملك بعد وفاة والده سنة 681هـ، 1283م، و كان ملكا شهما حسن السياسة و التدبير. ينظر: مؤلف مجهول،**زهر البستان في دولة بني زيان**، تح:بوزيان الدراجي،الجزائر، مؤسسة بوزياني للنشر و التوزيع، د.ط، 2013،ج:2 ص: 13 . عبد الرحمن جيلالي، المرجع السابق، ج2، ص: 218.

2- **أبي عصيدة:**أبو عبد الله محمد الثاني، المعروف بأبي عصيدة السلطان الحفصي السادس، بويع سنة 693هـ، ت (سنة 709) وسمي بالعصيدة لعمل أمه في نفاسها بالعصيدة و إهداءها للجيران. ينظر: الأغا بن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر ق 19**، تح :يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ج1، ص: 157.

لكن الأمير أبا زكريا لم يتمكن من إتمام مهامه إذ توفي ما بين سنتي699-700هـ فبويع ابنه أبو البقاء على إمارة بجاية المستقلة[1] سنة 698هـ فعين يحي بن أبي الأعلام وزيرا له[2]، وفي ظل هذه الظروف الاستثنائية التي تمر بها إمارة بجاية وجد السلطان المريني يوسف الفرصة سانحة لغزو بجاية، لكنه تمكن فقط من تخريب نواحيها فعبث الجيش المريني فيها فسادا و خرابا و نشر الرعب في أوساط الرعية.

إن المتمعن في الظروف الإقليمية أنذاك يتضح أن إمارة بجاية المستقلة في عهد الأمير أبي البقاء خالد، كانت بين فكي كماشة الحفصيين بزعامة أبي عصيدة من جهة الشرق و المرينيين الزاحفين من جهة الغرب، فاعتمد أبو البقاء سياسة ليتقرب من تونس نسبيا فأرسل سفارة إلى تونس يتقدمها الشيخ أبو العباس الغبريني كبير أهل بجاية، محاولة لتصفية الأجواء بين المملكتين[3] لكن دون جدوى بل أتهم هو الآخر بتحالفه مع تونس ضد بجاية، مما أقدم أبي البقاء على سجنه ثم قتله سنة 704هـ بايعا زودس من حاشيته[4].

وهكذا استمر الصراع بين المملكتين و تمادى الحاجب ابن اللحياني في التآمر على إمارة بجاية فنكل بأهاليها[5].

وفي الأخير اتفق الاثنان أبو عصيدة و أبو البقاء خالد على الصلح[6] في النقاط التالية:

- وقف العمليات العسكرية و المناوشات بينهما.

1- عبد الرحمن بن خلدون، **رحلة ابن خلدون**، تح وتق: نوري الجراح، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات للنشر و التوزيع، ط1، 2003، ص: 60.

2- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، ص: 363.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 34.

4- عمر بلبشير،" **أبو العباس الغبريني و كتابه عنوان الدراية**"، الجزائر، العصور، ع: 6-7، 2005، ص: 217.

5- المطوي، المرجع السابق، ص: 289.

6- مفتاح خلفات، **قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (6-9هـ)(12-15م) دراسة في دورها السياسي و الحضاري**، الجزائر، دار الأمل للطباعة و النشر، د.ط، د.س، ن، ص: 93.

– ضرورة توحيد المملكتين تحت حكم الأمير الذي يظل حيا بعد وفاة الآخر.

وشاءت الأقدار أن يتوفى السلطان أبو عصيدة سنة 709هـ فخرج أبو البقاء من بجاية قاصدا تونس من اجل التوحيد، لكنهم ضربوا المعاهدة عرض الحائط و عينوا عليهم أبو بكر بن عبد الرحمن حفيد أبي بكر بن أبي زكريا الأول، لكن جيش بجاية كان قويا بقيادة أبي خالد فتمكن من ردع هذا الأمير و قتله بعد ما دام حكمه سبعة عشر يوما فعرف بالسلطان القتيل الشهيد

وبدخول السلطان أبي البقاء خالد الحاضرة تونس سنة 709هـ أعاد توحيد المملكة الحفصية بشقيها الشرقي و الغربي[1].

العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية:

1) **علاقة بني حفص ببنو مرين:**

كانت العلاقة بين بني حفص و المرينيين علاقة تتحكم فيها ظروف تطور الدولة المرينية و لهذا نجد العلاقة مرت بمراحل لكل منها أهداف:

المرحلة الأولى:

في هذه المرحلة أعلن المرينيون[2] تبعيتهم لبني حفص و كان الغرض من هذه التبعية و الالتزام بها إضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم إلى تصفية الموحدين، فنجد بنو مرين منذ أول أمرهم يخاطبون الأمير أبا زكريا و يبعثون له بيعة البلاد التي يتغلبون عليها مثل مكناسة و القصر و حتى مراكش[3] و هذا من أجل أن لا يقاومهم الحفصيون و يقدمون لهم العون ضد الموحدين، و

1- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 36.

2- **بنو مرين:** قبيلة بربرية زناتية كانت تستوطن المغرب الأوسط، و دفعها العرب الهلاليون غربا فاستقرت في حوض ملوية. ينظر: شوقي ضيف، **عصر الدول و الإمارات (الإمارات، المغرب الأوسط، موريطانيا، السودان)**، القاهرة، دار المعارف، ط1، د.س، ص 286 . أبو محمد الوليد إسماعيل بن أحمر، **نثير الجمان في شعر من نظمي و أيام الزمان**، تح: محمد رضوان الداية، الجزائر، المؤسسة الوطنية، ط2، 1987، ص: 27.

3- علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، الرباط، 1972م، 1392هـ، ص: 108.

كذلك إرضاء العامة في بلاد المغرب الأقصى و جذبهم إلى صفوفهم، سفارات متبادلة بين المرينيين و بين بني حفص كان لها الأثر في إظهار المودة بينهما، و من بينهما السفارة التي أرسلها الأمير يعقوب بن عبد الحق سنة 665هـ إلى البلاط الحفصي، وقد رد عليها الأمير المستنصر الحفصي 667هـ فأوفد على الأمير يعقوب بن عبد الحق كبير الموحدين في وفد من مشيخة الموحدين و معهم هدية عظيمة للأمير المريني[1].

و قد حرص المرينيون على إظهار أن تبعيتهم لبني حفص لم تكن تتعدى مجرد التبعية الاسمية و قد بدأ ذلك منذ عهد السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بويع سنة 685هـ، توفي 706هـ[2] و عندما حاصر تلمسان خرج عليه راشد بن محمد فتابعته جنود السلطان حتى دخل إلى الأراضي الحفصية في إفريقية و هنا وقف الحفصيون في وجه القوة المرينية التي تتابع راشد، و في هذه الآونة كان هناك ثائر آخر على الحفصيين لاذ بالفرار إلى بلاط المرينيين سنة 701هـ و هو عثمان بن سباع بن دريد، الذي انتهز فرصة الخلاف بين المرينيين والحفصيين سبيلا إلى دعوة دخول بني مرين لبجاية فاستجاب السلطان يوسف له أي نهاية التبعية، فأصدر إلى أخيه أبي يحي بالاستيلاء على بجاية و بالفعل نجح بذلك ثم قفل راجعا.

وقد انعكس أثر هذه الأحداث على سلوك الحفصيين إذ حرصوا على تحسين علاقاتهم بالمرينيين، ففي سنة 703هـ أوفى السلطان أبي عصيدة على السلطان المريني (يوسف) محمد بن أكمازير يشرح فيه أسباب ما سلف و غيرها من السفارات المتبادلة بينهم، وكذلك نجد سفارة أبو البقاء خالد صاحب

1- محمد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني**، الكويت، دار القلم للنشر و التوزيع، ط1، 1405هـ، 1985م و ط2، 1408هـ، 1987م، ص: 211 وما بعدها. محمود شاكر؛**تاريخ الإسلام**؛بيروت؛المكتب الاسلامي؛ط:4؛1991؛ج:7؛ص:275.

2- محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، الرباط، الدار البيضاء، ط :3، 1420هـ، 2000م، ص: 171.

بجاية الذي أرسل وفد من أهل دولته إلى السلطان يوسف لتجديد العهد و تحسين العلاقات فيما بينهم، و كذلك وفد عباد بن سعيد بن عثمان سنة 704هـ فأخرجهم السلطان[1].

مرحلة السيطرة المرينية على بجاية:

غدت بجاية في هذه الوقت ولاية حفصية تابعة للسلطة المركزية بتونس (الأمير أبو العباس أحمد المتلقب بالمعتمد على الله) في نهاية سنة 747هـ، أما على بجاية فكان الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا متوليا لشؤون إدارتها، أما السلطان المريني فكان أبي الحسن[2] (731- 752هـ) الذي عين محمد بن تافراجين حاجبا له(ابن السلطان التونسي).

فحرض هذا الأخير أبي الحسن على غزو إفريقية مقابل وضعه لنفسه بين يديه فكان ذلك، حيث وجه السلطان أبي الحسن جيوشه نحو بجاية ففتح لهم أميرها أبوابها بعدما عجز عن التصدي لهم، وأعلن عن طاعته وولاءه للعرش المريني[3] و هذا ما كان سبب في عزله .

لقد جعل أبو الحسن على بجاية عاملا مرينيا يهتم لشؤونها ثم توجه إلى تونس رفقة حاجبه، و هكذا ظلت بجاية مابين مد وجزر فتارة تحت حكم المرينيين و تارة أخرى تابعة لقوى محلية كحكم الأمير محمد بن أبي زكرياء.

1- نضال مؤيد مال الله عزيز الأعرجي، الدولة **المرينية على عهد يوسف بن يعقوب المريني**،العراق؛ جامعة الموصل، 1425هـ، 2009م، ص: 55.

2- **أبي الحسن** : علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق و يكنى أبا الحسن، ولد عام 697هـ و بويع بعد أبيه سنة 731هـ، كان يحب العلم و يقدر العلماء. ينظر: محمد بن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا الحسن**، تح: ماريا خيسوس فيفيرا، الجزائر، الشركة الوطنية، للنشر والتوزيع، د.ط؛1981، ص ص: 260، 261.

3- عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره**، الجزائر ؛الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د.ط، 1974؛ص: 23.

لكن ذلك لم يدم طويلا إذ سرعان ما أقدم الأمير أبو عنان فارس (749-759هـ)[1] المريني على توجيه حملة أخرى على بجاية ؛لتصبح بذلك تحت السيطرة المرينية.

وجعل علي بن عمر الوطاسي عاملا عليها سنة 753هـ، لكن على ما يبدو أن سكان بجاية كانوا رافضين السيادة المرينية ؛وسيطرة عاملها الوطاسي فقاموا باغتياله[2] ثم عين بدله وزيره الخاص عبد الله بن علي بن سعيد واليا على بجاية، بعدها توجهت أنظاره نحو تونس سنة 758هـ فقاد حملة لذلك ثم قفل راجعا إلى فاس حيث توفي بها، فشهدت الدولة المرينية أعقابه اضطرابات بين أسرها حول الاستيلاء على العرش، ففي سنة 760هـ أطلق منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الحق المريني سراح أبي العباس الحفصي إلى قسنطينة و التي كانت هي آخر ما تبقى للمرينيين في إفريقية[3] و بذلك استولى الحفصيون على قسنطينة و استردوا بجاية سنة 748هـ.

2) علاقة بني حفص ببنو عبد الواد:

كان الحفصيون من ورثة الموحدين في إفريقية أشد الطامعين في السيادة على تلمسان، و إزالة حكم بني عبد الواد[4] منها أول الأمر، فلم يكد يغمراسن بن زيان يستقر في البلد و يقيم إمارته فيها سنة 633هـ/1236م، حتى هاجمه أبو زكريا الحفصي طامعا في البلد فاحتل تلمسان في 29 محرم سنة 640هـ، 29 جوان 1242م غير أن يغمراسن تمكن من رد هذه الغارة[5].

1- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 214.

2- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 42.

3- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص: 214.

4- **بنو عبد الواد:** في الأصل العابد الوادي و هم فرع من فروع زناتة، واتخذوا تلمسان قاعدة ملكهم سنة 633هـ على يد يغمراسن بن زيان وقد عمروا البلد حوالي ثلاثة قرون. ينظر: ابن الأحمر، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تق و تح :هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر و التوزيع، ط1، 1421هـ، 2001م، ص: 15 و مؤلف مجهول، **زهر البستان**، ، ج2، ص: 13.

5- نفسه، ص: 17 و بوزيان الدراجي، **أدباء و شعراء من تلمسان**، الجزائر، دار الأمل للدراسات و النشر و التوزيع، د.ط، 2011، ج1، ص: 157.

أما علاقة بنو حفص بأبي حمو فهي مختلفة عن علاقته بالمرينيين، إذ كان الحفصيون يشتركون معه في عداءه للمرينيين فكانت حملاتهم المتكررة عليهم و احتلالهم للبلاد المختلفة الواقعة تحت سلطانهم مما يزيدهم قربا منه، و قد ظهر تعاطفهم معه في وقت مبكر قبل تولية أمور دولة بني عبد الواد، إذ احتضنوه و حموه و أجروا عليه بعد مقتل عميه السلطانين أبي سعيد الثاني و أبي ثابت على يد المرينيين سنة 753هـ/ م[1].

غير أن الأمور لم تكن صافية بين أبي حمو وكل الحفصيين ، لأن الحفصيين أنفسهم كانوا منقسمين فيما بينهم ولأن بلاده كانت تتاخم بلادهم، فكانت أطماعه تسول له الاستيلاء على بعض بلادهم فينزل له على رغبته بعض الحفصيين مثل أبي عبد الله محمد بن يحي الحفصي، حينها أظهر إليه أبو حمو ابنته و لما غلب السلطان أبو العباس الأمير عبد الله على بجاية و هلك في مجال حربه، و أشاع أبو حمو الامتعاض له بمكان الصهر و جعلها ذريعة إلى الحركة على بجاية، فزحف من تلمسان و أنزل معسكره بساحتها و قاتلها أياما إلى أن وافته المنية سنة 791هـ/1389م[2].

ليتولى من بعده ابنه أبي تاشفين زمام الأمور فتدخل الدولة الزيانية مرحلة جديدة من تاريخها، تتمثل في التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية خاصة بعد استنجاد هذا السلطان ببني مرين ضد أبيه أبي حمو[3]، و كذلك نفس الشيء بالنسبة لبنو حفص حيث أصبح لكل من بنو حفص و بنو مرين الحق في عزل من شاء و تولية من يشاء و متى شاء ذلك.

1- لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي و الحضاري لدولة بني عبد الواد**، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص: 111.

2- لطيفة بشاري، **العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر هجري (12-13م)**، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، د.ط، د.س، ص ص: 46، 49 و لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص: 112.

3- أبي حمو موسى الثاني، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**،الجزائر؛ابن النديم للنشر؛د.ط؛2011؛ص:12.

3) علاقتهم مع النصارى:

كان للحفصيين في معظم أيامهم مكان مرموق في البحر المتوسط ؛ودوله وخاصة مملكة أرغون و تتبعها في ذلك قطلونية و الجزائر الشرقية أي البليار و الجمهوريات التجارية الإيطالية.

على الرغم من المسؤولية الضخمة التي ألقاها على عاتقهم موقعهم الجغرافي في وسط البحر المتوسط في مواجهة أوروبا، فقد استطاع الحفصيون الحفاظ على مركزهم الممتاز في حوض البحر المتوسط وعلاقاتهم الطيبة مع أوروبا، و قد امتاز كبار سلاطينهم من أمثال أبي زكريا و المستنصر أبي العباس و أبي فارس بسياسة أوروبية واضحة المعالم تدل على ادراك واسع و بعد نظر، فقد اجتهدوا في الحفاظ على علاقات الصداقة و المودة بأوروبا و أجازوا لبعض دولها إنشاء قنصليات لها في تونس و بجاية[1]، وفي سنة 708هـ/1309م أبرم خايمي ملك أراغون للمرة الأولى اتفاقية مع صاحب بجاية الحفصي أبي البقاء خالد، و قد كان له قنصل في بجاية في أوائل القرن حول اجراء قنصلية لرعايتهم بالمدينة.

ولكن وجود قنصل أرغوني لا يكفي لإقامة الدليل على وجود إتفاقية حديثة العهد و سارية المفعول بين تلك الدولة و بجاية، و قد تم التفاوض بشأن المعاهدة المبرمة في سنة 708هـ/1309م بمدينة برشلونة من طرف سفير أمير بجاية الفارسي "غارسيا بيرس دي مورا"، و تقرر أن تبقى المعاهدة سارية المفعول خمس سنوات بشرط التصديق عليها من طرف الأمير، و هي تتضمن بالإضافة إلى البنود العادية المتعلقة بسلامة الأشخاص و الأملاك، نص الدولة الأكثر رعاية فيما يتعلق بالتمثيل القنصلي ومن ناحية أخرى يتعهد ملك أرغون إذا دعت الحاجة إلى مد يد المساعدة إلى مدينة الجزائر، بوضع سفينتين حربيتين مجهزتين بأربع أدوات حصار تحت تصرف أمير بجاية على أن يدفع الأمير في المقابل 2000 دبلون- دينار إسباني من الذهب- عن كل سفينة مدة أربعة أشهر و 500

1- حسين مؤنس، **تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، بيروت، لبنان، العصر الحديث للنشر و التوزيع، ط:1، 1412هـ، 1992م، مج2 و 3، ص: 285.

دبلون عن كل شهر إضافي[1]، و كذلك مرسيليا التي سبق لها أن أوفدت في جوان 1332م نائبين لإبرام الصلح مع ملكي تونس و بجاية، و قد جددت بنجاح خلال الأشهر الأولى من سنة 1337م و بالضبط وجه في نفس تلك الفترة الأمير أبو زكريا مباشرة إلى ملك أرجونه رسالة بتاريخ 10 ربيع الأول 737هـ- 10 أكتوبر 1336م ليوصيه خيرا بسفير مسلم مبعوث من قبل ملك غرناطة سيرجع عن طريق بجاية و قطلونية[2].

كما اتسمت علاقتها بالعداء مع دول النصارى فقد كان السلطان أبي الحسن المريني نادى بتجهيز الأساطيل المغربية ضدهم، خاصة بعد ما استلحموا الكثير من قومه و احتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين، و كذلك وفاة ابنه أبو مالك أمير الثغور الأندلسية فبعث إلى أصهاره الحفصيين بتجهيز أسطولهم إليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة في ستة عشر أسطولا من أساطيل إفريقية[3]، كان فيها من طرابلس و قابس و جربة و تونس و بونة و بجاية، و توافت أساطيل المغربيين بمرسى سبتة التي وصل عددها إلى مائة سفينة تحت قيادة محمد بن علي العزني صاحب سبتة...[4].

4) علاقتهم مع مصر:

نجد أن العلاقة بينهما تميزت بالود سواء على الصعيدين الرسمي أو الشعبي، و يتجسد ذلك في التواصل المستمر و الدائم بين المسؤولين، و المتمثل في المراسلة والمهاداة و السفارات المنتظمة لكلا الطرفين، يحرص فيهاكلا منهما من خلالها على إبلاغ الطرف الآخر بأهم ما يشغله سياسيا و

1- عائشة ناصر و هناء صحراوي، **الحواضر الإسلامية في المغرب الاسلامي بجاية الحفصية انموذجا (ق 7-9هـ)**، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، المركز الجامعي الوادي، 2011-2012م، ص: 22.

2- روبا برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص: 191.

3- الأمير شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**، تح :محمد المهدي الحبابي، المطبعة الرحمانية بمصر، ط1، 1355هـ، 1936م، ج2، ص: 317.

4- محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص: 114، 115.

اجتماعيا و دينيا فكانت موضوعاتها تتعلق عادة بالجهاد و ردع المعتدين و المناوئين و التوصية بركب الحجاج، و لهذا توطدت الصلات بين المصريين و المغاربة[1].

1- نواف عبد العزيز الحجمة، **رحالة الغرب الإسلامي و صورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري (12-14هـ)، الإمارات العربية المتحدة**، دار السويدي للنشر و التوزيع، ط1، 2008، ص ص: 134، 135.

الفصلالثاني: الحياة الإجتماعية والإقتصادية لبجاية الحفصية.

المبحث الاول:الحياة الإجتماعية لبجاية الحفصية.

1-عناصر المجتمع البجائي.

2-فئات المجتمع البجائي.

3-مكانة المرأة في بجاية الحفصية.

4-البعض من عادات وتقاليد اهل بجاية.

المبحث الثاني:الأوضاع الإقتصادية لبجاية الحفصية.

أ-الزراعة-الري-تربية الماشية.

ب- الصناعة وأنواعها.

ت- التجارة وأنواعها

المبحث الأول: الحياة الإجتماعية

- **عناصر المجتمع البجائي:**

تكون المجتمع البجائي إباء هذه الفترة من المسلمين الذين انقسموا إلى عنصرين أساسين هما العنصر البربري وهم السكان القدامى والغالبون على جميع عناصر السكان ثم في الدرجة الثانية العنصر العربي, كما توافدت على بجاية أعداد كبيرة من الأندلسيين بعد سقوط المدن الأندلسية في أيدي النصارى هذا إلى جانب عناصر أخرى من أهل الذمة وغيرهم.

أ/ البربر:

البربر: أمة أعجمية من أقدم أمم العالم وأشهر أجياله, ولقد اختلف المؤرخون في نسبهم اختلاف كثيرا, فتذكر بعض الروايات أنهم من العرب من ولد سام ابن نوح عليه السلام[1]وفرقة أخرى تقول بأنهم حاميون من مازيغ بن كنعان بن حام, وسبب قدومهم إلى المغرب حسبما ذكره القلقشندي أنه لما قتل داوود عليه السلام جالوت تفرقوا في البلاد فلما غزا افريقش المغرب نقلهم من سواحل الشام وأسكنهم المغرب وسماهم البربر[2]، وكانت مساكنهم من أرض مصر إلى أخر المغرب حتى تخوم السودان, ويقال أنهم من ولد بربن قيس بن عيلان[3] وغيرها من الآراء حول نسب البربر, هذا العنصر الذي تفرع إلى قبائل كان لها الدور في قيام العديد من الدويلات بعدما كانت سند مهم لها و من هذه القبائل التي عاشت في كنف بجاية في عهد الحفصيين قبيلة كتامة، وبعض بطونها كبنو سدويكش وزواوة.

1- أبي زكريا يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تح :عبد الحميد حاجيات، الجزائر، المكتبة الوطنية، د.ط، 1400هـ، 1980م، ج1، ص: 178.

2- أبي العباس أحمد القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح :إبراهيم الأبياري، بيروت ؛دار الكتاب اللبناني، ط2، 1400هـ، 1980م، ص: 117. و زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **أثار البلاد و أخبار العباد**، بيروت، دار صادر، د.ط، د.س، ص:631.

3- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:179.

أ-1 قبيلة كتامة :

يعرفها ابن خلدون فيقول:"هذا القبيل من قبائل البدير بالمغرب وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر من ولد كتام ابن برنس، ويقال كتم...موطنين بأرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل أوراس من ناحية القبلة وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم[1] مثل ايكيجان[2]، و باغاية، و نقاوس، و ميلة و قسنطينة و جيجل...من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة...[3].

ومن بقايا القبائل والبطون الكتامية المستقرة في ناحية بجاية بنو سدويكش وقد ذكرهم ابن خلدون بقوله:"بسدويكش ديارهم مواطن كتامة، مابين قسنطينة و بجاية في البسائط منها ولهم بطون كثيرة مثل : سيلين و طرسون و طرغيان و موليت وبني فتنة وبني زغلان و النّورة وبني مزوان وبني عيار و الرئاسة على جميعهم في بطن منهم يعرفون أولاد سواق لهم جمع وقوة وعدة وكان جميع هذه البطون وعيالهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الإبل والبقر"[4].

وكذلك نجد قبيلة بربرية أخرى استقرت في حاضرة بجاية وفي جبالها المحيطة القريبة قبيلة زواوة التي لعبت دورا علميا، أدبيا، ثقافيا، ودينيا مشعا في الحركة العلمية والثقافية[5]، والتي عرفها ابن خلدون هي الأخرى بقوله:" قبيلة زواوة التي تعّد من صنف البربر البتر عاشت في كنف حاضرة بجاية ويقول كذلك أن زواوة من قبائل كتامة نقلا عن ابن حزم، لهم بطون كثيرة، بنو مليكش، بنو كوفي،

1- يحي بن خلدون، **العبر**، ج6، ص: 179.

2- **ايكيجان:** هو جبل بين سطيف و قسنطينة، سكنته قبائل كتامة و به حصن حصين و معقل صنيع. ينظر:الحميري، المصدر السابق، ص: 71.

3- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر**، ص: 175.

4- نفسه ؛ص ص: 159، 160.

5- صالح بلعيد، ولد علي الهادي، المرجع السابق، ص: 137.

مشدالة، و وزلجة ومن قبائلهم المشهورة بنو ماني، بنو شعيب، بنو غبرين، وبنو كشطولة، أما مواطن زواوة بنواحي بجاية مابين مواطن كتامة وصنهاجة التي اتخذت الجبال الشاهقة المتوعرة موطنا لها[1].

ب/العرب:

ومن أشهر القبائل العربية التي انتقلت إلى افريقية أحلافا لبني هلال في القرن الخامس هجري بنو مزني، وهم من مزنة بن دنفل بن محيى بن جزي بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة من عرب الأثبع، فنجد السلطان أبي إسحاق إبراهيم الأول ولى من بني مزني الفضل بن علي بن أحمد بن الحسن بن علي بن مزني أميرا على الزاب 678 هـ/1279م، بعدما انقسمت الدولة الحفصية الى شرقية و غربية، وأصبحت بجاية إمارة مستقلة[2].

ومن القبائل العربية الأخرى نذكر رياح التي كانت من أعزّ قبائل بني هلال وأكثرهم فقد كانت الرئاسة فيهم طوال عصر الموحدين وحتى العهد الحفصي ببجاية، خاصة بعد اضطهادهم من قبل النصارى، فانتشروا وكثروا واعتزوا على الدولة الحفصية[3].

كما كانت لهم امتيازات وإقطاعات منحهم إياها ملوك أعانوهم على تبوأ العرش أو على حمايته من ثائر، وبذلك استقرت رياح ببطونها بالجانب الغربي من الدولة الحفصية بضواحي قسنطينة وبجاية والزّاب وورقلة.

1- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص: 137.

2- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص: 60، مبارك الميلي، المرجع السابق، ج، ص: 897 و محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ج2، ص: 98.

3- هشام أبو رميلة، **علاقة الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس**، الأردن، دار الفرقان، ط1، 1404هـ، 1984م، ص: 288.

وما وراءها من الصحراء[1]، أما قبيلة دواودة العربية فقد استقرت بضواحي قسنطينة، واعترفت لهم باقي القبائل العربية المستقرة بضواحي افريقية بالرياسة والزعامة، وعندما ازدادت قوة الدواودة أنكر الحفصيون عليهم مكانتهم فأخذوا في إثارة عرب الكعوب و موداس من بني سليم ضدهم، فتمكنت الكعوب من طرد الدواودة من شرق افريقية إلى غربها نحو إمارة بجاية وأقاليمها، بينما استقرت سليم بالجانب الشرقي بالدولة الحفصية من قابس إلى بونة.

وعليه فقد لعبت هذه القبائل العربية وبطونها دورا كبيرا في المجال السياسي بأقطار المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط على الخصوص، حيث حرص الأمراء الحفصيون ببجاية على علاقاتهم ببطون هذه القبائل العربية التي كانت ملجأ لأمرائهم المغضوب عليهم من ناحية ولطالبي السلطة من ناحية أخرى، كما كانت تستعين الدولة الحفصية بالقوات المحاربة لهذه القبائل في إخماد الثورات والتمردات مثلما حدث في أيام أبي بكر الوزير صاحب قسنطينة الذي استعان بمحاربين من عرب المعقل، ونلاحظ أن تقسيم افريقية بين رياح وسليم أدى إلى انقسام الدولة الحفصية إلى شرقية وغربية منذ عام 684هـ وحظي كل منهما بتأييد هذه القبائل العربية المستقرة بأراضيها[2].

3/الأندلسيين:

لقد وفد على بجاية أعداد كبيرة من الأندلس الذين سئموا من ضعف المسلمين المتواجدين بالأندلس، وتوسع النصارى على حساب المراكز الإسلامية به فقد سقطت قرطبة سنة 633هـ/1235م و بلنسية و مرسية[3]، وغيرها من حواضر الأندلس و هذا التوافد على بجاية لم

1- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 61، و شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت 749هـ، م**سالك الأمصار الأبصار في ممالك ، ممالك اليمن و الغرب الإسلامي و قبائل العرب**، السفر الرابع ، تح حمزة أحمد عبّاس، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2003، ص: 389.

2- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 62.

3- حكمت عبد الكريم فريحات و إبراهيم ياسين الخطيب، **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1989م، ص: 167 و العبدري، المصدر السابق، ص: 37.

يكن وليد للفترة الحفصية بل منذ فترة الحماديين، حيث أنه ازداد في هذه الفترة بعد فتح أبو زكريا أبواب مدينته للمهاجرين من أهل الأندلس وبذلك تأثرت حضارة بني حفص في افريقية بالحضارة الأندلسية وقد بلغ تأثير الأندلسين ذروته في عهد أبي عبد الله المستنصر خليفة أبي زكريا يحي، فكان بلاطه يزخر بأهل الأندلس الذين هاجروا إلى جواره[1].

كما وفد على بجاية الكثير من العلماء الأندلسيين كأبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن محمد الزهري من أهل بلنسية ويعرف" بابن محرز "قرأ بالأندلس ولقي بها الأفاضل من أهل التحصيل، وبذلك فقد كان رئيسا للجماعة الأندلسية ببجاية والكل يأتي إلى منزله[2]، وعنده مجمعهم مثل أبي عبد الله ابن الآبار[3]، وأبي المطرف وابن عميرة[4] وأبي بكر بن سيد الناس[5] وغيرهم كثير من الطبقة المثقفة من العلماء.

وكل هؤلاء نقلوا حضارتهم ورصيدهم الفكري وطريقة لباسهم وواجباتهم اليومية وتقاليدهم الاجتماعية في المأكل والملبس إلى بجاية فاصطبغت هذه الأخيرة بالصبغة الأندلسية[6]، وسنبرز دورهم بالتفصيل في كل من الجانب الاقتصادي والثقافي.

4/أهل الذمة:

1- عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب الكبير**، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص: 878.

2- الغبريني، المصدر السابق، ص: 241.

3- عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر الحافظ العلامة أبو عبد الله القضاعي البلنسي، الكاتب الأديب المعروف بابن الآبار مؤرخ كبير و أديب، ولد سنة 595هـ ت 658هـ بتونس، قدم إلى بجاية سنة 636هـ. ينظر: ابن قنفد(أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب)، **الوفيات**، تح عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ، 1983م، ص: 324.

4- **بن عميرة**: أبا المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، استوطن بجاية، ت 658هـ/1260م. ينظر: العبدري، المصدر السابق، ص: 38.

5- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 63.

6- علي المنتصر الكتاني، **انبعاث الإسلام في الأندلس**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م، 1426هـ، ص: 401.

4-1 اليهود:

منذ أن دخل المسلمون إلى المغرب تأسست العلاقة بينهم وبين اليهود على الأسس الشرعية التي يضبطها عقد الذّمة[1] وهذا طبعا لم يحل دون مرور تلك العلاقة ببعض لحظات التوتر خاصة في مراحل الاضطراب، أو عند قيام اليهود بتجاوز حدود الذمّة مما كان يعرضهم لنقمة العامة بالخصوص، وعموما فقد كان عقد الذمة في التاريخ المغربي والإسلامي يضمن لليهود درجة عالية من الاستقلال القضائي و الإداري والثقافي[2].

كما أن الأقلية اليهودية المتواجدة بالمغرب الإسلامي تعددت أصولها, فبعضها من أصل مغربي اعتنق الديانة اليهودية وبعضها الأخر هاجر إلى المنطقة قادما من المشرق أثناء الاحتلال الروماني و البيزنطي لشمال إفريقيا، وحتى من الأندلس بفعل الاضطهاد الديني والسياسي والاقتصادي الذي تعرضوا له معية المسلمين الأندلسيين من طرف النصارى الابيريين[3].

و يعتقد أن اختيار اليهود الاستقرار ببجاية يرجع بالدرجة الأولى إلى موقعها الجغرافي والاستراتيجي الذي مكنها من ربط علاقات هامة مع الدول الإسلامية المشرقية والمغربية وحتى مع الممالك الأوربية.

وقد عاش اليهود في بجاية وحواضر المغرب الإسلامي منذ وقت طويل في أجواء من التسامح والعدل والإنصاف، لهم حقوق وعليهم واجبات وفق أحكام أهل الذمة خاصة في عهد أبي فارس،

1- **الذمّة:** بكسر الذال و فتح الميم وتشديدها و الذمة في اللغة هي العهد و الكفالة و الضمان، فهم أولئك الذين يؤدون الجزية من أهل الكتاب. ينظر: الزبيري محي الدين محمد، **تاج العروس في جواهر القاموس**، تح علي بشيري، دار الفكر، بيروت، 1994م، مج16، ص ص: 264،265.

2- محمد المغراوي، **الموحدون و أزمات المجتمع**، الرباط، جذور للنشر، ط1، 2006م، ص ص: 111، 112.

3- عرقوب سفيان، **الحياة العلمية في بجاية من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد بن أحمد عبد الله الغبريني** (ت704هـ)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ و حضارة المغرب الإسلامي، تيارت، جامعة ابن خلدون، 2015/2014م، ص: 27.

كما ساهموا بدورهم في إثراء الحضارة العربية وتنوعها وترجمة تراثها إلى سائر اللغات الأوربية، وقد ظهر منهم أدباء ومفكرون وأطباء وصيادلة فاحتلوا مناصب علمية هامة، كما احتكروا التجارة وطرقها وربطوا علاقات متينة مع الأمراء والحكام[1].

4-2 النصارى:

إن معظم المسيحيين في إمارة بجاية هم جنوب غرب أوربا، أي الجمهوريات الايطالية كالبندقية و جنوة و بيزة، ومن الأسبان والبرتغال، ولعل استقرار هؤلاء المسيحيين يرجع إلى العصر الحمادي حينما كانت العلاقات الاقتصادية والتجارية قائمة بين مدينة بجاية وسائر المدن الأوربية، ثم استمر هذا التواجد ببجاية بحكم استمرار النشاط التجاري بينهما[2] زيادة على ما وفرته الدولة لهؤلاء التجار من الأمن والاستقرار فقد سمح لهم بإقامة فنادق خاصة لإيوائهم[3] فحضي النصارى بجو من التسامح وممارسة حياتهم بشكل طبيعي، وذلك لما كانوا عليه من حيث ممارستهم للتجارة وجلب الفائدة التي تعود بالنفع عليهم، وكان لهذه العلاقة الطيبة التي جمعت بينهم وبين النصارى الأثر في تزايد عددهم ببلاد المغرب، فأصبح الأمراء يعتمدون عليهم في الكثير من أمورهم السياسية كحرس أو جنود لهم في أيام الشدة[4].

ولم يكن المسيحيون المتواجدين ببجاية كلهم على أحسن حال فمنهم العبيد الذين تم أسرهم ضمن العمليات الجهادية البحرية التي قام بها الأسطول البجائي في الحوض الغربي للبحر الأبيض

1- فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي، خلال القرنين السابع و الثامن هجري الموافق ل 14 و 15 ميلادي**، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ط، 1432هـ، 2011م، ص: 42.مسعود كواتي؛**اليهود في المغرب الأسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين**؛الجزائر؛دارهومة؛2009؛ص:120.

2- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 64 و عبد الله العروي، المرجع السابق، ص: 356.

3- المغراوي محمد، المرجع السابق، ص:113.

4- جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين**، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، د.ط، 2001م، ص: 169.

المتوسط، وضد السواحل الاسبانية[1] فكان هؤلاء الأسرى يباعون ويشترون في سوق مدينة بجاية، فكانت بجاية تغص بالأسرى ويسمع مشيهم في الشوارع وهم يساقون إلى ساحة السوق أو إلى مراكز السجون[2].

5/عناصر أخرى:

إلى جانب العرب والنصارى واليهود والأندلسيين، استقبلت بجاية جموعا أخرى من السكان فقد شهد هذا القرن حركة تجارية كبيرة في بيع العبيد والرقيق، كما تعددت مهنهم فامتهنوا الزراعة والصناعة والتجارة، كما كانوا في بعض الأوقات ينخرطون في صفوف الجند في حالة استعداد للحرب[3].

وهكذا كان لكل من هذه العناصر المختلفة الأجناس دور فعال في تعمير بجاية وإنعاش الحضارة بها بسبب التواصل الثقافي والحضاري و الاقتصادي الذي ساهم في إيصالها إلى قمة التطور، فأضحت من كبريات الحواضر الإسلامية.

ب –فئات المجتمع :

تكون المجتمع البجائي خلال القرن (7-9هـ/13-15م) من العديد من الطبقات فلكل طبقة ميزتها ووظيفتها، وفي أعلى هذا الهرم الاجتماعي فئة الطبقة الحاكمة لما تمتعت به من نفوذ سياسي و اجتماعي، تليها طبقة القضاة نظرا لوظيفتهم المرموقة وطبقة العلماء التي شغلت مناصب هامة وحساسة، ثم تليها من حيث الامتيازات، طبقة الجند إضافة إلى طبقة التجار والفلاحين وفي الأخير العامة من الناس .

ب –1 الفئة الحاكمة:

1- عرقوب سفيان، المرجع السابق، ص: 26.

2- روبار برنشفيك، المرجع السابق،ج1، ص: 417.

3- أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص: 58

إن الأسرة الحاكمة تنتمي إلى البيت الحفصي والزعامة فيها لقبيلة هنتاتة المصمودية، ويشكل الأمراء الحفصيون معية الحجاب والوزراء طبقة اجتماعية متميزة تعيش في رخاء ورفاهية، حيث اتخذت لنفسها ببجاية القصور والحمامات والبساتين التي كان معظمها موروث منذ العهد الحمادي، كما تفننت في تشييد السكنات والدور الفخمة الجيدة البناء والمنظر[1] كما كانوا يتزينون بأفخم الألبسة مثل المطرزة بالذهب من قماش عندهم يسمى السفساري، يعمل عندهم من حرير وقطن ويكون عادة أبيض أو أحمر أو أخضر وقماش أخر يعرف بالجزيري من الصوف الرفيع جدا وقماش أخر يعرف بالتلمساني يعمل بتلمسان إما صوف خالص أو حرير خالص مختم أو غير مختم[2].

ب –2 القضاة :

يعتبر منصب القضاء من أجلّ الخطط الدينية وأرفعها، وقد حدد ابن خلدون في مقدمته نقلا عن مفتاح خلفات وظيفة القاضي في الفصل بين الخصوم واستفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين وأوقافهم وتصفح الشهود و الأمناء و النواب، واستيفاء العلم والخبرة بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم[3] وقد كثر اشتغال منصب القضاة ببجاية، كما حرص الأمراء الحفصيين على تولية من هم أكثر ولاء ووفاء للبيت الحاكم من جهة، ولذا كانت المراقبة شديدة عليهم خاصة بعد النهاية المأساوية التي آل إليها أبو العباس الغبريني[4] كما كان القضاء في بجاية وسائر السلطنة الحفصية على مذهب الإمام مالك وجرت العادة أن يتولى القاضي هذا المنصب أكثر من سنتين عملا بما أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5].

1- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق،

2- القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج7، ص: 142.

3- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 224.

4- نفسه، ص:225.

5- الزركشي، المصدر السابق، ص: 44.

كما أن الحكم بين الناس في مختلف جهات وأقاليم بجاية يقوم به قضاة محليون في غالبيتهم، فإذا أشكل عليهم الأمر بعثوا إلى شيوخ الإفتاء في الحاضرة ببجاية وحتى تونس لينظر فيها قاضي الجماعة أو قاضي القضاة، وعندما أصبحت العاصمة إمارة مستقلة كان بها قاضي الأنكحة وقاضي المعاملات و قاضي الأهلة وشيوخ الإفتاء، وجميعهم يرجعون بالنظر إلى قاضي الجماعة الذي يعتبر منصبه من أعلى المناصب في الدولة معية الأمير الحاكم والمحتسب، ولهذا فالقاضي شخصية مستقلة في أرائه وأحكامه[1] و لذلك شكلوا طبقة متميزة في المجتمع المغربي، إذ كانوا يحظون بمركز اجتماعي مرموق، فكان معظمهم ينعم بالثراء واحترام الناس كما كان لهم بيوت يعقدون فيها مجالسهم[2].

و من بين أشهر القضاة ببجاية نجد عبد العزيز بن مخلوف العيسى الشهير بابن كحيلا (602هـ)[3] وكذلك نجد أبا العباس أحمد بن عيسى الغماري[4] وغيره من القضاة الذين تقلدوا منصب القضاء ببجاية.

أما القضاة الأندلسيون النازحون إلى بجاية ذكر منهم الغبريني، القاضي أبو العباس أحمد بن الغمار الأنصاري[1] (693/619هـ)[2].

1- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص ص: 71، 72.

2- كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندرية للكتاب، 1996م، ص: 34.

3- **عبد العزيز بن مخلوف**، الفقيه الجليل المتقن المحدث أبو محمد، خزانة مذهب مالك كان فصيح العبارة تقض ببجلية نيابة، ولد في جمادى الثانية عام اثنين و ستمائة. ينظر: أحمد بابا التمبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس من الديباج**، تح محمد مطيع، المملكة المغربية، د.ط، 1421هـ، 2000م، ج1، ص: 287.

4- **أبا العباس الغماري**: أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري، الفقيه، القاضي، الأديب، تولى القضاء ببجاية توفي بتونس عام اثنين و ثمانين و ستمائة. ينظر: القرافي بدر الدين ت 1008، **توشيح الديباج** في تح علي عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004م، ص ص: 48، 49.

ب –3 العلماء:

عرفت هذه الفئة بمكانة مرموقة لما اضطلعت به من مهام وما شغلته من مناصب انعكس نفعها على شرائح عريضة من المجتمع، فكان منهم الأئمة والمدرسون والفقهاء وشيوخ الفتوى ومن بين العلماء الذين استقروا ببجاية على سبيل المثال لا الحصر أسرة أبي العباس أحمد الغيريني ت (704هـ/1304م) وولديه سعيد وأبي القاسم ت(731هـ/1331م)[3] ومن عائلة المشذالي العلامة ناصر الدين[4]، وصهره عمران ت (745هـ/1345م)[5].

وغيرهم من العلماء لتصبح بجاية مصدر إشعاع علمي أثر في الأوربيين النازحين إليها، و إلى جانب الوعظ والتذكير أو تصدرهم لمنابر الإمامة في المساجد، نابوا كذلك عن القضاة في الفصل بين المتخاصمين في الأسواق وتوثيق الروابط بين أفراد العشيرة الواحدة[6].

ب–4 الجنود:

تألف الجيش الحفصي و البجائي من الموحدين والأندلسيين والبربر والأتراك وبعض القبائل العربية و الإفرنج و العلوج ويمكن تقسيمهم إلى الطبقات التالية:

–الفئة الأولى: وتتألف من أشياخ الموحدين.

1– **أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن الغمار** الأنصاري البلنسي، القاضي الكبير الشهير بالعدل، رحل إلى بجاية و استوطنها و ولي القضاء بها. ينظر: الغبريني المصدر السابق، ص: 129.

2– نفسه، ص: 130.

3- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 223.

4– **ناصر الدين المشدالي:** منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي ناصر الدين أبو علي، من أكابر فقهاء المالكية نشأ في بجاية و بها تعلم، رحل إلى المشرق ثم رجع، ولد سنة 631هـ و ت 731هـ. ينظر: عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر** الحاضر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية، ط2، 1400هـ، 1980م، ص ص: 302، 303.

5– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 121.

6– مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 224.

–الفئة الثاني: وهم الوقافون الذين يقفون بين أيدي السلطان في أوقات جلوسه عند النظر في حوائج الناس ويسكنون معه في القصبة.

الفئة الثالثة: عامة الجند المتكون من بربر وعرب وأندلسيين و السود و حتى الأتراك .

الفئة الرابعة: فئة الجند المتكونة من القبائل العربية.

الفئة الخامسة: فئة الجند من الإفرنج والمسيحيين ويعبّر عنهم بالعلوج.

هذه الفئة الأخيرة التي يتخذها الملك حرصا خاصا له، فهم يشكلون فرقا للفرسان وأخرى للمشاة يتراوح عددهم ما بين ألفين إلى ثلاثة ألاف رجل معظمهم من مملكة أرغونه و قشتالة وصقلية ولها تنظيماتها العسكرية الخاصة بها، أما لباس الجند فيتميز عادة عن لباس الناس والرعية مثل العمائم الصفراء والثياب المفصلة من أنسجة الجوخ والصوف والقطن[1] ولتمكين الجيش من السهر على أمن البلاد وسلامتها وحراسة ثغورها أنشأت القصبات والمحارس والمعاقل والقلاع، وقد بذل الجيش جهده لتوطيد الراحة والأمن داخل البلاد بالقضاء على معظم الثورات[2].

ب–5 التجار:

شكل تجار بجاية إحدى الطبقات المميزة في المجتمع البجائ، وذلك بجاههم ونفوذهم المالي وهذا ما يؤكده الونشريسي فيقول:"...إن رجلا من أكابر التجار ذوي الأموال الطائلة ببجاية ..." كما يستفاد من بعض نوازل الميراث ما يعكس الثروة المالية التي كان يمتلكها هؤلاء، فقد ذكر صاحب المعيار أن أحد التجار أوصى قبل موته بثلث تركته من الميراث على شرط أن يخرج منه وصايا معينة

1– محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 75.

2– عائشة ناصر و هناء صحراوي، المرجع السابق، ص: 14.

من بينها تسديد دين قدره مئة وخمسون دينارا ذهبيا كان في حوزته أمانة ومنه نستنتج أن المائة وخمسون دينارا لم تكن إلا جزءا من الثلث ولنا أن نقدر عدد ما يبقى من الأموال[1].

وقد أبدى هؤلاء التجار تعاطفا كبيرا مع الفقراء والمعوزين، إلى جانب ما كانوا ينفقونه من أموال في بناء المساجد[2].

وقصارى القول أن فئة التجار استطاعت بما تملكه من أموال وذخائر من تنشيط الحياة الاقتصادية على المستويين المحلي والخارجي.

ب-6 الفلاحين:

شكلت طبقة الفلاحين النواة الرئيسية التي ساعدت في ازدهار الاقتصاد القبلي وقد ارتبطت هذه الفئة بخدمة الأرض، و إلى جانب هذه الطبقة وجود طوائف مهنية ممن تعاطوا مهن حرفية كالنسيج و الحياكة والحدادة والصيد وغيرها من المهن[3].

ومجمل القول فان مختلف الفئات التي سبقت الإشارة إليها، بالإضافة إلى العامة من الناس من عبيد و غيرهم كان لها دورها داخل المنظومة القبلية من منطلق الموقع الاجتماعي الذي تبوأته.

ج/مكانة المرأة في بجاية الحفصية:

إن الطابع العام للأسرة الإسلامية آنذاك هو سيادة الأب ونفوذه على زوجته وأبنائه واحترام الزوجة لزوجها والأبناء لوالدهم ولأمهم، ويعتقد أن المجتمع البجائي آنذاك مبني بالدرجة الأولى على

1- أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب**، تح محمد حجي، الرباط، المملكة المغربية، 1401هـ، 1981م، ج6، ص06.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 229.

3- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 230.

الذكور، فالرجل هو المسؤول وحده على الأسرة[1] انطلاقا من الآية:"**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**"[2].

أما الشؤون الداخلية للبيت فإنها للأم والأخت الكبرى، وقد كانت المرأة والزوجة البجائية تقوم بشؤون منزلها وربما تخرج إلى السوق لاستحضار مطالب الأسرة، فتقتني من الأسواق الأقمشة والحلي والمنسوجات والغزل والأصواف والجلود والصياغة، كما كانت المرأة البجائية تقصد المقابر خاصة أيام المواسم الدينية وتزور المقابر وأضرحة الأولياء ببجاية، كما كان البعض يعملن خادمات في البيوت والقصور لدى الحكام والأمراء، ومنهن من كن تشتغلن في الرقص والغناء والطرب[3] وفي هذا يقول الحسن الوزان:"البجائيون ميالون للمدح والموسيقى والطرب"[4].

ومن النساء الحفصيات اللواتي كن لهن مشاركة فعالة في المجتمع البجائي السيدة بنت عبد الغني بن علي العبدري[5] التي التحقت بالقصر الحفصي وعملت به كمعلمة، وخلفها فيما بعد بناتها بعدما ألزمها المرض الفراش، وحقيقة الأمر أن الاهتمام العلمي عند المرأة لم يكمن في حرصها للحصول على فرصة التعليم أو قيامها بمهنة التعليم، بل تجاوزه إلى الإنفاق على إنشاء المراكز التعليمية, وهذا ما قامت به عطف زوجة أبي زكريا الحفصي، حيث أنشأت على نفقتها أول معهد علمي.

1- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 68.

2- سورة النساء الآية: 34.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 68.

4- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 51.

5- **بن علي العبدري**: هو علي بن سعيد العبدري من أهل جزيرة ميورقة يكنّى أبا الحسن، أخذ عنه ابن حزم رحل إلى المشرق و قيل عنه أنه رجل من أهل الفضل و المعرفة و الأدب و الفقه، كان حيا سنة 491هـ. ينظر: ابن بشكوال، **الصلة**، تح إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ط، 1183م، مج12، ج2، ص: 615.

و فضلا عن حرص المرأة على تعلّم الأدب وعلوم الدّين فإنها كذلك حرصت على تعلّم الخطّ وإجادته والظاهر أن اللواتي أجدنه هن كثيرات، نذكر منهن صفية بنت عبد الله الربّي ت(417هـ/1026م) التي اشتهرت بحسن الخط[1].

ومن مجيدات الخط العربي ببلاد المغرب نذكر سيّدة بنت عبد الغني بن علي عثمان العبدري ت(647هـ/1249م) وعائشة ابنة أبي الطاهر عمارة[2]، كانت أديبة فصيحة لبيبة ولها خط حسن وعنها يقول الغبريني نقلا عن كرزار فوزية: رأيت كتاب الثعالبي[3] يخطها في ثمانية عشر جزءا وفي خاتمة كل سفر قطعة شعر من نظم والدها، و إذا ختم السفر وتم التاريخ يكتب بخط يده وقال عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف وتكتب ابنته القطعة بخطها.

ولهذا قال عنها المؤرخون:"...انه لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علما وفهما وأدبا و عزا، فكانت تمدح ملوك الأندلس، حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب وتعنى بالعلم ولها خزانة علم كبيرة ت(400هـ)"[4].

1- كرزار فوزية، **دور المرأة في الغرب الإسلامي من ق 5 ألى منتصف ق 7هـ**، تق: غازي مهدي جاسم الشمري، وهران، دار الأديب للنشر و التوزيع، د.ط، 2006، ص ص: 85، 86.

2- **أبي الطاهر عمارة**: له علم و أدب و فضل ونبل، قضى ببعض النواحي ببجاية كان متقدما في علم العربية و الأدب و له تأليف في علم الفرائض و الموشحّات. ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص: 44.

3- **الثعالبي** : هو أبو منصور عبد الله بن محمد الثعالبي(350-429هـ/961م) من أهل نيسابور، كان من أئمة اللغة و الأدب فكتب في الأدب و التاريخ و كان فراءا يخيط جلود الثعالب. ينظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين**، ج4، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ص: 163.

4- حسن بولحبال، "**مجالات اسهام المرأة المسلمة في العلوم و التربية**،" مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، ع7، سنة 2010م، ص: 49.

كما شهدت هذه الفترة أيضا وجود طبيبة وظفّت في البلاط الحفصي وهي من أصل شامي تدعى سارة الحلبية ولم يرد عن أخبارها واحترافها للطب أكثر من أنها طبيبة ماهرة جمعت ما بين الطب والأدب[1].

وعليه نستخلص أن السلطة السياسية وكذا المذهبية إضافة إلى النمط الفكري للقبائل كلها عوامل تحكمت في تعليم المرأة، هذه الأخيرة التي عرفت كيف تستفيد من الفرص التي أتيحت لها، فالارادة والعزيمة والاستعداد كانت من أهم العوامل التي ساعدتها على تلقّي العلوم وتلقينها فيما بعد بشجاعة.

- **البعض من عادات وتقاليد أهل بجاية:**

من خلال ما درس سابقا نستجلي بعض العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي تجذرت في المجتمع البجائي من أطعمة، لباس، مناسبات وغيرها.

1-الأطعمة والمشروبات:

ليس من السهل ضبط لائحة الأطعمة والمشروبات التي كان يتناولها سكان المنطقة، لأن ذلك يتوقف على الحالة الاقتصادية للأسرة و إن لم تخرج في الغالب عن المنتوجات الزراعية والحيوانية التي تستخلص بكيفيات متعددة[2]، يشكل فيها القمح والشعير والحنطة المواد الأساسية لدى السكان[3] ويحضر منها الكسكس بالسمن والعسل والبسيسة والعصيدة وشربة الفريك إلى جانب أنواع اللحوم

1- كرزار فوزية، المرجع السابق، ص ص: 87، 88 .

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 234 و محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 71.

3- الإدريسي، المصدر السابق، مج1، ص: 260.

منها لحم البقر والماعز على الخصوص، يضاف إلى ذلك أصناف من أطباق الأسماك خاصة وأنها مدينة ساحلية، كما استهلك أهلها بشكل كثير التين فالمعروف عن مدينة بجاية أنها كثيرة الفواكه والأثمار[1]، كما أكل البجائيون أيضا الزيتون وزيت الزيتون هذا الأخير الذي استعملوه في الطعام وفي صنع أنواع الصابون[2] ومن الأشربة نباتات طبية طبيعية كانت تزخر بها البيئة الجبلية منها ما يصنع من قشور وعروق الكرفس والنعناع والحبق والقرنفل وغيرها من الأشربة[3].

2-الألبسة:

نجد لباس أهل بجاية يختلف من شخص لأخر وذلك يتوقف على الحالة المادية لكل فرد، فالأمراء كانو يتزينون بأفخم اللباس مثل المطرزة بالذهب ولباس الخزّ الذي يميل لونه إلى الخضرة و إلى السواد أميل[4]، أما سكان البادية فقد كان لباسهم يتمثل في الكساء وهو عبارة عن قطعة قماش مضلع، يسدل طرفها على الكتف الأيسر[5]، كما كان الأطفال يرتدون الشملة ولكن اللباس المفضل لدى سكان الأرياف والمدن على حد سواء يبقى البرنس، ويبقى اللون الأبيض للباس الخاص بالأفراح بينما الأسود للأحزان.

1- نفسه، ص: 260 .مؤلف مجهول، **الإستبصار**، ص130.

2- أمينة بوتشيش، المرجع السابق، ص: 59.

3- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 235.

4- القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج7، ص: 142.

5- برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 289.

أما الكهول فيغطون رؤوسهم بعمامة بينما العامة الغير مهتمين بهندامهم فقد كانوا يضعون على رؤوسهم قلنسوة أو طاقية من الصوف تعرف باسم الشاشية، ويمكن أن يلبسها الأطفال[1] أما المرأة فقد تأنقت في ارتداء أنواع الثياب كونها تنتج أجود الملبوسات[2]، خاصة بعد وفود الأندلسيين لبجاية فالمعروف عنهم شدة الاعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون فتأثروا واثروا على غيرهم[3].

3-الزينة:

إن الكثير من أهل بجاية كان يستعمل بكثرة مواد الصباغة والتجميل والدهان مثل الحناء، الكحل، وتزيين حواجبهن بالحرقوس، وكانت النساء البدويات تكثرن من استعمال الأدهنة سواء في وجوههن أو في أعضاء أجسادهن، وكذلك وضع الوشم بالرغم من استنكار تعاليم الدين الإسلامي لهذه العادة[4]، ووضعهم المجوهرات مثل الخرصان والخواتم والأساور والخلاخل المصنوعة أحيانا من الذهب أو الفضة[5]، كما لا يخفى علينا اهتمام الأمراء بالأعياد والمواسم الدينية مثل المولد النبوي الشريف وعاشوراء وإحياء رجب وشهر رمضان وعيد الفطر ...الخ[6].

المبحث الثاني :الأوضاع الاقتصادية:

أ-الزراعة:

عرّف ابن خلدون الزراعة بقوله:"هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدهارها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله

1- نفسه، ص ص: 291، 292.

2- مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: أحمد التوفيق، الإسكندرية، الجمعية المغربية للتأليف، 1409هـ،1989م، ج2، ص: 374.

3- سناء الشعيري، **المرأة في الأندلس**، الرباط، مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات، ط1، 2009م، ص: 47.

4- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 239.

5- برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 294.

6- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 71.

واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي أقدم الصنائع كما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا..."[1]

نجد أن مدينة بجاية خلال المدة المحصورة بين تأسيس الناصرية وسقوط بجاية بيد القوة الاسبانية نجدها تميزت في أغلبها بازدهار وهذا راجع إلى العوامل التالية:

- إن الدولة الحمادية عندما نقلت عاصمتها من قلعة بني حماد إلى بجاية دخلت في مرحلة جديدة من حياتها تميزت بنوع من الاستقرار السياسي لم يسبق لها معرفته من قبل.
- بُعد بجاية عن مناطق نفوذ القبائل الزيانية وبني هلال جعلتها تعيش مرحلة هدوء[2]، ونستدل على ذلك من أقوال الرحالة الذين زاروا المنطقة من مشارقة ومغاربة و الذين نقلوا المصادر التي تعتبر اليوم مفقودة، ومن بين هؤلاء الرحالة الإدريسي الذي قال عن بجاية:"...لها بواد ومزارع..."[3] وخاصة أن إمارة بجاية توفرت على مناخ معتدل، وأرض زراعية شاسعة ممتدة على نطاق واسع وتربة جيدة ومتنوعة تتلاءم مع العديد من المنتجات الفلاحية، كما تسقط بها كميات معتبرة من الأمطار قد تصل إلى حوالي1000 ملم سنويا لاسيما في سهل مدينة بجاية وضواحيها، وقد ساعد انتظام الفصول بها وحرارتها المعتدلة في التأثير مباشرة على المنتجات الزراعية وتنوعها[4].

كما أن الدولة الحفصية التي تأسست على أنقاض الموحدين أقطعت أراضي الأفراد من الجالية الأندلسية على ضفاف وادي الصومام، فاستغلها هؤلاء لإقامة البساتين وخاصة في عهد المستنصر بالله الذي شهدت فترة حكمه بإنشاء الكثير من البساتين[5].

1- ابن خلدون، **المقدمة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط9، 2006، ص: 320.

2- حساني مختار، **الحواضر والأمصار**، ج2، ص: 186.

3- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص: 260.

4- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 50.

5- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ج2، ص: 878.

كما ان المصامدة فإنهم معروفون من أهم القبائل المستوطنة بالغرب فقد اهتموا منذ القدم بالزراعة وغرس الأشجار، وبفضلهم ازدهرت الفلاحة في أراضي كانت مهجورة من قبل، وقد توارد على المغرب مهرة الفلاحين من افريقية، فكان الفلاح ذو مهارة طبيعية يحسن الاعتناء بالأرض وكيفية استغلالها[1]، وكل هذه العوامل انعكست بالإيجاب على الفلاحة ببجاية ويتضح ذلك من خلال تنوع المحاصيل الزراعية وكان في مقدمها الحبوب من قمح وشعير وحنطة، وهذا ما يؤكده الحميري فيقول :"...ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها والتين كثير..."[2] لكن الحسن الوزان يرى أن المنطقة تشكوا نقصا في الحبوب وهذا ما يتضح في قوله:"...الأراضي الزراعية بها تعتبر خصبة، لا تستطيع أن تنتج حبوبا، لكنهم مغمورون بالثمار إذ يحيط بالمدينة عدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار..."[3]، ومن هنا نستنتج أن إنتاج الحبوب في كان غير مستقر في كل من سهول بجاية، بينما اتفقت المصادر في المقابل على ازدهار البستنة وعمل البساتين وتوسعت شيئا فشيئا على حساب مساحة الحبوب.

ومن بين هذه الثمار التي اشتهرت بها مدينة بجاية التين، التفاح، السفرجل والجوز، وبأنواع أخرى من الفواكه وبإنتاج الزيتون والعسل وغيره، كما برزت سهول المسيلة ونقاوس والزاب بزراعة القطن بكمية كبيرة[4] وبالإضافة إلى هذا بها أيضا بعض النباتات الطبية التي تستعمل في الأدوية ومنها:

1- **الدراريخ** :وهو بالبربرية أزغلال وينفع في علاج عضة الكلب.

1- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، الدار البيضاء، دار الرشاد للنشر و التوزيع، د.ط، 1420هـ، 2000م، ج1، ص: 338.

2- الحميري، المصدر السابق، ص: 81.

3- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 50.

4- إسماعيل العربي، "**العمران و النشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد**"، مجلة الأصالة، ص: 332 و محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 51.

2- سندريطش :يعرف عند أهل المغرب بعشبة كل بلاء، فهو مفيد لعلاج الجروح.

3- الغريبون :وهو التاكوت بالبربرية يستعمل كحلا للعينين.

4- تاسممت :وهو الحماض بالبربرية يفيد في علاج الأورام وقرحة المعدة والغثيان.

وغيرها الكثير من الأعشاب التي استعملت كعلاج لجميع الأمراض[1].

-الري:

يعتبر الماء أحد العناصر الأساسية التي تقوم عليها حياة الكائنات لقوله تعالى :"**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**"[2]، و لا بأس بالتذكير بأن المياه المستعملة في مختلف الأنشطة الاقتصادية وغيرها مصدرها التساقطات المطرية بوجه خاص[3]، خاصة أن بجاية يكثر تساقط المطر بها شتاءا والبحر الأبيض المتوسط الذي يلطف دائما من جوها ويعطيها كل مميزات وخصائص المدن الساحلية ولهذا تمتعت بجاية بثروة مائية هامة متكونة من أودية وأنهار[4].

كما يقول العمري عن عيون بجاية "وبها عينان اثنتان من الماء إحداهما كبيرة منها شرب أهل البلد، ولها نهر وبضفته بستانان للسلطان متقابلان شرقا وغربا، الشرقي يسمى الرفيع ، والغربي يسمى البديع"[5]، أما عبد الوحيد المراكشي فيقول ببجاية نهر كبير يسمى الوادي الكبير[6] وعليه بساتين وهو يأتيها من جهة المغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم على بعد ميل منها وكلما بعد عن

1- حساني مختار، المرجع السابق، ج2، ص: 190.

2- القران الكريم، **سورة الأنبياء**، الآية: 30.

3- يوسف نكادي، **الزراعة في الأندلس**، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط2، 2009م، ص: 103.

4- عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص: 103 و الغبريني، المصدر السابق، ص: 04.

5- العمري، المصدر السابق، ص ص: 146، 147.

6- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص: 130.

البحر كان ماؤه قليلا[1]، و إلى جانب هذا الوادي هناك أودية... وعلى هذا الأساس نجد أن الأمراء الذين تداولوا حكم على حكم بجاية قد شجعوا الفلاحين على الاهتمام باستغلال مياه الوديان والتحكم فيها لسقي الأراضي خلال فصل الجفاف[2].

-تربية المواشي:

لقد عرف المجتمع البجائي تربية الحيوانات كالقرود والفهود[3]، والماعز والأغنام والأبقار والخيول لدى سكان الأرياف والحواضر فوفرت لسائر الإمارة اللحوم والدهون ومنتجات الألبان ومواد أولية للصناعات الصوفية والجلدية.

كما أن جلد الماعز والأغنام كان بضاعة مطلوبة من قبل الأوروبيين، ولا تعود أهمية تربية الأغنام لإنتاج الجلود فقط، بل أيضا إلى إنتاج الصوف والفروة حتى أصبحت الفروة السوداء الرقيقة الجيدة لأغنام بجاية علامة مميزة، ومن هذا يتبين لنا أن تربية المواشي كانت تمثل قطاعا حيويا في النشاط الفلاحي، كما أن البجائيين مارسوا الصيد البحري أيضا[4].

لكن بالرغم من ما عرض تبقى معلوماتنا حول الجانب الفلاحي ببجاية ضئيلة فأغلبها مستقاة من عند الجغرافيين العرب الذين زاروا بجاية.

ب-الصناعة:

1- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص: 260.

2- حساني مختار، المرجع السابق، ج2، ص: 189.

3- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص: 51.

4- عائشة ناصر و هناء صحراوي، المرجع السابق، ص: 27 و محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 52.

عرفت بجاية مختلف الصناعات الغريبة واللطيفة[1] وهذا راجع لتوفرها على المواد الأولية فلا يمكن أن تقام الصناعة بدون المواد الأولية الحيوانية والمعدنية.

فبجاية والنواحي المحيطة بها تتوفر على أخشاب تستعمل في الصناعة وكذلك الحديد، ونجد من الرحالة من يؤكد ذلك فيقول الإدريسي :"...توجد بها دار الصناعة وإنشاء المراكب، لأن بها الخشب في أوديتها وجبالها ويجلب من أقاليمها الزفت الرائع الجودة والقطران و بها معادن الحديد الطيب..." [2]فتوفر هذه المواد جعل من بجاية مركزا للصناعة خلال العصور الوسطى.

أهم الصناعات: من أبرز الصناعات نذكر منها:

1- صناعة السفن :

بما أن مدينة بجاية تقع على ساحل البحر المتوسط فانه سهل لها مهمة الاتصال مع الموانئ القريبة والبعيدة عنها، كما أن سكانها قد اهتموا بالنشاط التجاري مما أدى بهم إلى الاهتمام بصناعة السفن التي ينتقلون عليها أو القيام بالجهاد البحري أو مواجهة الأساطيل الأجنبية التي تشن هجوماتها على موانئ المغرب الإسلامي[3]، ومن بين الذين تناولوا صناعة السفن ببجاية الإدريسي وصاحب كتاب الاستبصار هما يختلفان في عدد دور صناعة السفن، فالإدريسي يرى أن بجاية تحتوي على دور لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن، وبالتالي نستنتج أن دار الصناعة ببجاية لا تصنع نوع معين من السفن بل هناك أنواع مختلفة منها الحربية والمدنية.

1- الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص: 260.

2- نفسه، ص: 260.

3- حساني مختار، المرجع السابق، ص: 152 و ويل ديوارت، **أبطال من التاريخ**، مختصر قصة الحضارة، تر: سمير كرم، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، 2001م، ص: 293.

أما صاحب الاستبصار فيجعل لبجاية دارين لصناعة المراكب وإنشاء السفن[1] التي كان البعض منها يخرج إلى جزر بلاد الروم من أجل الغزو وبذلك يكون الجهاد البحري انطلاقا من بجاية.

2- صناعة الأخشاب:

أما صناعة الخشب فقد عرفت ازدهارا ملحوظا لتوفر جبالها على مختلف أنواع الأشجار الغابية مثل : الدردار، الفلين، السرو، الساج، العرعار، الصنوبر، البلوط، الأرز والتي تدخل في شتى الصناعات المنزلية منها الموائد والأبواب و القباقب والملاعق والصحون ومراكب الصيد من سفن وقوارب، إلى جانب بعض الأسلحة الحربية والأقواس التي تصنع من شجر الزان[2].

3- صناعة المنسوجات :

تعتبر هذه الصناعة من أقدم الصناعات التي عرفتها البشرية لأن الإنسان يحتاج إلى ملبسه كما يحتاج إلى طعامه، فالملابس تقيه حرارة الشمس والبرودة في الشتاء ولهذا فان بجاية لا تختلف عن غيرها من المدن التي عرفت هذا النوع من الصناعة[3] وممن تعرف على هذه الصناعة من الرحالة نجد صاحب كتاب الاستبصار الذي قال عن أهل بجاية " أنهم كانوا متخصصين في صناعة العمائم فوصفها بقوله كانت لملوك صنهاجة عمائم مذهبية تساوي العمامة الواحدة ما بين الخمسمائة والستمائة دينار، وكانوا يعملونها بإتقان..."[4]، كما أن هناك أناسا لا يتعممون بالعمائم بل يضعون على رؤوسهم شواشي الخز وقد تعرض لتلك الشواشي ابن القطان عند كلامه عن وصول ابن تومرت إلى بجاية فقال:"لقي بها الصبيان في زي النساء بالضفائر والأضراس، والزينة وشواشي الخزّ..."[5]

1- مؤلف مجهول، **الاستبصار**، ص: 130.

2- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 198.

3- حساني مختار، **الحواضر والامصار**، ج2، ص: 193.

4- مؤلف مجهول، **الاستبصار**، ص: 129.

5-ابن القطان، المصدر السابق، ص: 176.

وغيرها من الملابس التي صنعت ببجاية بل نالت الشهرة الواسعة في ذلك ، وهذا ما يؤكدهمرمول كربخال وهذا راجع لوفرة المادة الخامة من الصوف والكتان والقنب[1].

حتى المرأة أسهمت بدور فعال في ازدهارها حيث أن بعضهن كانت تشترط في عقد نكاحها أن لا تمنع من ممارسة حرفتها الصناعية[2]، فقد كانت تشتري الصوف وتتصرف فيه بالغسل والمشط والغزل والنسيج، وتنتج أجود المنسوجات لتلبية متطلبات أفراد الأسرة من ملابس منها البرنوس، الجلابة، الحايك، سراويل الصوف ومن الأفرشة الزرابي على الطراز المغربي والأندلسي[3].

4-الصناعة الجلدية:

حقق سكان بجاية تقدما في الصناعة الجلدية لما توفر لهم من ثروة حيوانية كبيرة، فصنعوا من جلود الأبقار أنواعا من الأفرشة[4] إلى جانب سروج الخيل والأحذية وقرب الماء وتجليد الكتب.

5-الصناعة الفخارية والزجاجية:

توفرت هذه الإمارة على الطين الملائم لصناعة الفخار والأواني المنزلية المختلفة كالقارورات الزجاجية والأباريق البلارية المزينة بالخط العربي الجميل على اختلاف أنواعه وأشكاله منذ العهد الحمادي[5] وغيرها من الصناعات كالغذائية مثل الألبان والأدهان، والتجميلية كالصابون والعطور لكن بالرغم من تنوع هذه المصنوعات إلا أننا نجد ما اشتهرت به بجاية عند الأوربيين صناعة الشمع ولهذا عرفت باسم" بوجي" Bougie أي الشمعة .

1- مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص: 376.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج3، ص: 278.

3- مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص: 376.

4- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 200.

5- محمد الشريف سيدي موسى، ، المرجع السابق، ص، ص 52، 53.

التجارة:

شاركت التجارة والداخلية في دفع عجلة الاقتصاد بالبلاد منذ عهد بنو حماد لتواصل ذلك مع بنو حفص، بحيث شهدت أسواقها حركة تجارية منبثة في جميع الأمصار ونشاط في البيع والشراء[1]. فالتجارة الداخلية يتطلب ازدهارها وجود أسواق، ومن بين هذه الأسواق سوق الاثنين والخميس وهي أسواق ريفية، بينما أسواق المدينة فنجد سوق البحر و سوق الصوف.....الخ، مقابل إقامة هذه الأسواق كان أصحابها يدفعون ضرائب يحددها أمراء الدولة[2].

أما عن التجارة الخارجية فعرفت حركة واسعة، وفي ذلك يقول الإدريسي:"ومدينة بجاية...السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافعة وأهلها مياسير وتجار..."[3]، أما صاحب الاستبصار فيقول:"...وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر واليمن والهند والصين وغيرها..."[4]

ارتبطت بجاية بمعاهدات تجارية مع الجمهوريات الايطالية كالبندقية وجنوة وبيزا وغيرها، فسفن البندقية كانت تصدر الحديد والنحاس ورقيق الصقالبة وتحمل منها في المقابل القمح، النسيج،

1- حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس**، مصر، مكتبة الخنابجي، ط1، 1980م، ص: 266.

2- حساني مختاري، المرجع السابق، ج2، ص: 195.

3- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص: 260.

4- مؤلف مجهول، **الاستبصار**، ص: 130.

التوابل، البخور[1]، ولم تتوقف تجارتها الخارجية عند الجمهوريات الايطالية فحسب، بل تعدت ذلك مع المشرق الإسلامي وإقليم السودان الغربي ومع سائر أقطاب المغرب الإسلامي[2].

وكانت تجارة البجائيين تعتمد بالدرجة الأولى على تصدير الخيول العربية والبربرية والتين المجفف والجلود المدبوغة وقشور الدباغة والبقول الجافة الفستق و القطن والشمع وريش النعام والذهب القادم من السودان الغربي، أما الواردات البجائية فقد تنوعت بدورها فكثيرا ما استوردوا من أوروبا وعبر الجمهوريات الايطالية الأسلحة مثل الدروع والحراب والعقاقير والخشب والورق وغيره، فكانت موانئ بجاية ذات حركة نشيطة وانتظمت الأسواق اليومية والأسبوعية سوا ء في الأرياف أو المدن، وامتلأت بالبضائع كما سميت العديد من المناطق بأسماء أسواقها كسوق الخميس وسوق الاثنين[3].

كما حرصت بجاية على توفير الأمن والاستقرار للتجار الأجانب، فالنصارى خصصت لهم منذ العهد الموحدي منازل وفنادق داخل المدن الإسلامية ، فكان لكل مجموعة قومية فندق خاص يتمتع داخله التجار بنوع من الاستقلال الداخلي، كما عين قنصل من قومهم يتولى الفصل في قضاياهم الخاصة وحسم ما قد يقوم بين التجار من خصومات وهو ممثل المجموعة لدى السلطات المحلية[4].

أما بالنسبة للعملة فقد احتفظوا بالعملة الموحدية من الدينار الذهبي والدرهم الفضي[5]، بكل خاصيته[1] وأطلق عليه اسم سكة[2] وهذا ما يؤكده الماوردي، كما استعملوا في عهد المستنصر عملة

1- حسين مؤنس، **تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1411هـ، 1991م، ص: 116.

2- ابتسام مرعى خلف الله، **العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي**، دار المعارف، د.ط، 1405هـ، 1985م، ص ص: 294،297.

3- محمد الشريف سيدي موسى، ، المرجع السابق، ص: 54.

4- توفيق مزازي، **النشاط البحري بالمغرب الإسلامي في عهدي الموحدين و المرابطين**، الجزائر، جسور للنشر و التوزيع، ط1، 1432هـ، 2011م، ج1، ص: 225.

5- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 214.

عملة نحاسية سميت"بالحندوس"، وكانت مهمة خزينة الدولة جمع الضرائب والمكوس المختلفة على الأراضي والمبيعات، وكان ديوان البحر مكلفا باستخلاص الرسوم المفروضة على البضائع ولهذا تعززت خزينة الدولة بمئات الآلاف من الدنانير[3]، وعرف المشرف عليها بصاحب الأشغال[4].

1- انظر الملحق رقم:5 ص:100.

2- **سكة:** هي الحديدة التي يطبع عليها الدراهم، و لذلك سميت الدراهم المضروبة سكة. ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الموردي، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، الكويت، دار بن قتيبة، ط1، 1989م، ص: 199.

3- محمد الشريف سيدي موسى، ، المرجع السابق، ص، ص: 57، 58.

4- محمد بوعياد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د.ط، 1982م، ص: 28.

تعد بجاية من بين أهم المراكز الفكرية في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع هجري، فقد توافد عليها مجموعة من رجالات الفكر، فأصبحت قبلة للعلماء ومحج للفقهاء وذلك منذ العهد الحمادي[1]، لتواصل ازدهارها في العهد الحفصي ,وليس أبلغ من قول ابن تومرت لعبد المؤمن عند لقائهم الأول في بجاية:" العلم الذي تطلبه بالمشرق قد وجدته بالمغرب..."[2].

أصبحت بجاية واحدة من أهم الحواضر الثقافية والفكرية بمنطقة المغرب الأوسط، إذ كانت عامرة بالفقهاء و الأدباء كما تعد من أكبر مراكز العلوم الإسلامية واللغوية، على غرار ما يوجد منها بالشرق والأندلس فقد كان يهاجر إليها باستمرار رجال من أولي العلم والأدب للاستزادة من علوم الدين والحديث واللغة .

ومما يدل على أهمية بجاية كحاضرة علمية هو العدد الضخم من العلماء الذين ترجم لهم أبو العباس الغبريني في كتابه عنوان الدراية في مختلف العلوم والفنون، فبجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرن السادس هجري، ومن بين المعارف التي درست في بجاية [3]العلوم النقلية والعقلية.

1- ابن قطان، المصدر السابق، ص:176.

2- مؤلف مجهول، **الحلل**، ص: 106.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص: 326.

-المبحث الأول:العلوم النقلية:

وتشمل القرآن والسنة من خلال دراسة التفسير والقراءات والحديث والفقه والتصوف، ويتجلى هذا الاهتمام من خلال تأسيس المساجد والزوايا التي كانت مجالا خصبا لازدهار هذه العلوم، وتميز عمل علماء بجاية بتعليقهم على المؤلفات السابقة كالموطأ والمدونة والعديد من مؤلفات الفقهاء.

كما كان لعلماء بجاية دور مشرف في توجيه طلبتها لدراسة الفقه والاهتمام بعلومه من عبادات ومعاملات، كما حفلت مساجدهم بالحلقات العلمية التي أولت عناية فائقة للفقه[1].

أ- علم القراءات:

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيّه، المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وتناقل ذلك الناس إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها أيضا بأحداثها فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءات اختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها[2].

شكلت دراسة القرآن الكريم وحفظه وتدريسه اهتماما بالغا لعلماء بجاية لكونه كلام الله المنزل، حيث كانوا يدرسونه في الكتاتيب[3] والزوايا[1]، ومن العلماء الذين برزوا في هذا الفن العالم المقرئ

1- حساني مختار، **تاريخ الجزائر الوسيط**، الجزائر، دار الهدى، د.ط، 2013م، ج4، ص: 54.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ص:179، ومفتاح خلفات، المرجع السابق، ص:268 .

3- **الكتاتيب**:جمع كتاب، وهو لفظ مشتق من التكتيب أي تعليم الكتابة، وهو مكان تعليم الصبيان الدين، وقد انتشرت ببجاية. ينظر: الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مر: أنس محمد الشامي، القاهرة، دار الحديث، د.ط، 2008م، ص: 1393. محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 106.

أحمد بن عبد الله أبو العباس المعافري، الذي جلس للقراءة والرواية بالجامع الأعظم ببجاية؛ أنجز تأليفا مختصرا على كتاب التيسير لابن عمر الداني[2].

ومن بينهم أيضا ممن برز في عالم القراءات أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي(674هـ/1286م)، لقي المشايخ ببجاية منهم أبو بكر بن محرز وأبو عثمان بن زاهر وأبو عبد الله الآبار وأبو المطرف بن عميرة وأبو بكر بن سيد الناس...، وأجاز له أبو زكريا يحي بن أبي بكر بن عصفور العبدري التلمساني ألف كتابا مرسوم الخط، وهو كتاب حسن كثير الفائدة وألف جزءا في بيان تمكين ورش حروف المد واللين الثلاثة الألف والواو والياء إذا تقدمتهن الهمزة، وألف جزءا في بيان مذهب ورش في تضخيم اللام، كما روي عنه بعض كتب الحديث، واستفدنا منه بالمشافهة في علم القراءات فكان رحمه الله ناصحا مجدا يرغب الطالب في الأخذ عنه ويعينه على ذلك، ولم يكن له عمل سوى الانشغال بالقرآن الكريم على حال عفاف ونسك[3].

وكذلك محمد بن صالح بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله الكناني الشاطبي فقيه مالكي مقرئ من أهل شاطبة، رحل إلى المغرب الأوسط واستوطن بجاية ووكل الخطبة بجامعها الأعظم ما يزيد على ثلاثين عاما، ترجم له الغبريني في عنوان الدراية فقال:"كان عالما بالقراءات وله معرفة بعلم العربية، النحو، اللغة والأدب"[4]

أبو عثمان سعيد بن زاهر البلنسي ببجاية وهو أبو عثام سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر الأنصاري البلنسي، فقيه مالكي من كبار المقرئين في عصره من أهل بلنسية في الأندلس، قرأ

1- **الزوايا**:مباني مخصصة لاستقبال الزوار والأتباع، يعلم فيها الطلبة ويدعى المكان على حسب صاحبها، فان مات يدفن فيها وتبقى تحمل اسمه. ينظر:أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1989م، ج1، ص: 262.

2- عرقوب سفيان، المرجع السابق، ص: 74.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص: 108.

4- ابن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ط1، 1329م، ص: 75.

على أبي نوح والحصار وغيرهما استوطن بجاية فأقرأ بها وروى وأسمع وأخذ عنه واستفيد منه إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة654هـ.[1]

التفسير:

من بين الذين عرفوا علم التفسير ابن خلدون حيث قال:"أما التفسير...علم لبيان التوحيد و الفروض الدينية بحسب الوقائع، و منها ما هو في العقائد الإيمانية و منها ما هو في أحكام الجوارح، و منها ما يتقدّم و منها ما يتأخر و يكون ناسخا له، و التفسير على صنفين تفسير نقلي مستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، و هي معرفة الناسخ و المنسوخ و أسباب النزول، و الصنف الأخر من التفسير هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة الإعراب و اللغة و البلاغة في تأدية المعنى[2].

وكان بيت أهم الكتب المتداولة في بجاية كتاب الكشاف عن حقائق التنزيل، و عيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري (467-538هـ)، و الوجيز في شرح كتاب الله العزيز لابن عطية (481-542هـ)[3]، و من بين المفسرين الفقيه الصالح الولي أبو الحسن بن أحمد الحرالي التجيبي، فقيه مالكي مفسر، له مشاركة في علم النحو ولد بمراكش و رحل إلى المشرق فدخل مصر و الحجاز، ثم عاد و استوطن بجاية بالمغرب الأوسط فعاد إلى المشرق و توفي بحماة، و من كتبه "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن" [4].

أبو بكر محمد بن علي الطائي الحاتمي الشهير"بمحي الدين بن عربي" أصله من مرسية، و سكن اشبيلية و أقام بها نحو 30 عاما ثم رحل إلى العدوة المغربية و دخل بجاية سنة 597هـ ولقي بها أبا مدين شعيب، وقد مارس حياة التصوف و تأثر بمذهب وحدة الوجود[5]، كما صنف كتب فيها

1- ابن قنفذ، الوفيات، ص: 322؛ الغبريني، المصدر السابق، ص: 245.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ص، ص: 470، 471.

3- نفسه، ص: 471.

4- ابن قنفد القسنطيني، **الوفيات**، ص: 311.

5- محمد الطمار، **تاريخ الأدب الجزائري**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2006م، ص: 193.

تفسيرات كبيرة على طريقة أهل التصوف في مجلدات في ستين سفرا إلى سورة الكهف، و له تفسير صغير في ثمانية أسفار توفي سنة (640هـ/1242م)[1].

د/الحديث:

اتجهت الحياة الدينية ببجاية إلى دراسة الحديث من خلال كتب الفروع وفقا لمدرسة الحديثة، التي كان قد أسسها الإمام مالك بن أنس، كما اهتموا بكتب المالكية كالموطأ والتلقين لعبد الوهاب البغدادي والعتبة للعتيبي[2]، وصحيح مسلم وصحيح البخاري وكذا جامع الترمذي لأبي عيسى الترمذي (279هـ/892م) وسنن أبي داوود السجستاني (ت275هـ/-388م)، وكتاب المسند الصحيح للإمام مسلم بن حجاج القشيري وغيرهم، ولم يكن البجائيون وحدهم من اعتنوا بهذا العلم بل حتى الأندلسيين[3] وقد برز منهم الكثير نذكر منهم :

أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي المشهور بابن الخراط ببجاية وله الأحكام في الحديث والعاقبة في الوعظ والتذكير[4]، وكان عالما بالحديث وعلله ورجاله، موصوفا بالخير والصلاح والتقلل من الدنيا مشاركا في الأدب وقول الشعر، ولد سنة 510هـ رحل إلى بجاية بعد سنة 550هـ فبث بها عمله وصنف التصانيف وولى الخطبة و الصلاة بها توفي في ربيع الثاني سنة 582هـ.[5]

ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن الغمار الأندلسي (ت693هـ/ م)فقيه مالكي محدث من أكابر القضاة، ولد سنة 609هـ في مدينة بلنسية و بها نشأ وتعلم، انتقل إلى بجاية بعد تغلب الإفرنج

1- عرقوب سفيان، المرجع السابق، ص: 193.

2- حساني مختار، المرجع السابق، ص:54.

3- محمد الشريف سيدي موسى، المرجع السابق، ص: 156- 157.

4- ابن قنفذ، **الوفيات**، ص:293.

5- الغبريني، المصدر السابق، ص:135.

على بلنسية، واستوطنها وتولى قضاءها ثم انتقل إلى تونس، كان رحمه الله محدثا رواية، فقيها، فاضلا، دينا، حسن الخلق.[1]

والحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الاشبيلي، هو أبو عبد الله

ويقال أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن أبي القاسم، سيد الناس اليعمري الاشبيلي فقيه مالكي حافظ محدث قال عنه الذهبي"عني بالحديث فأكثر" من أهل اشبيلية سنة597هـ وروى عن أبيه وكبار علماء عصره، سكن شريس مدة وأخيرا بجاية قال عنه الغبريني "ولي لصلاة الفريضة والخطبة بالجامع ببجاية وروى بها وأقرأ وأسمع، ولما اشتهر حاله وعمله وصل خبره للمستنصر فاستدعاه وقرب مثواه توفي بتونس (618هـ)[2].

- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى بن سليمان الأزدي، ويعرف باسم برطلة فقيه مالكي وقاضي محدث من أهل مرسية بالأندلس، انتقل إلى المغرب الأوسط فسكن بمدينة بجاية وولي القضاء بمدينة الجزائر وغيرها، وأخيرا إلى تونس فاستقر بها .[3]
- القاضي أبو محمد بن كحيل البجائي,وهو أبو فارس، ويقال أبو محمد عبد العزيز بن كحيلة البجائي روى عنه ابن غريون وغيره.[4]
- ومنهم أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي ولد بجزيرة شقر، فكان أول طالب شديد العناية بشأن الرواية فاستكثر من سماع الحديث وأخذ عن مشايخ أهله.[5]

1- نفسه، ص:129

2- الغبريني، المصدر السابق، ص-ص: 249؛246.روبار برنشفيك؛المرجع السابق؛ج:2؛ص:300.

3- ابن قنفذ القسنطيني، **الوفيات**، ص: 332.

4- حساني مختار، **تاريخ الجزائر**، ص: 59.

5- عبد اله عنان، "**مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط**"، الجزائر، الأصالة،ع13، 2012م، ص: 196.

- وكذلك ابن دحية وهو عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن دحية الكلبي، الشيخ و الفقيه والمحدث و الحافظ من كبار المحدثين والحفاظ الثقاة،كان من أحفظ أهل زمانه في اللغة [1].

-الفقه:

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه[2]، ويعتمد الفقه في أصوله على القرآن والحديث في المجال البشري، وقد ذكر الغبريني العديد من الفقهاء الذين اهتموا بهذا العلم و من هؤلاء الشيخ الفقيه الجليل الفاضل العالم العارف العابد الزاهد الولي أبو عبد الله محمد بن علي القصيري أحد خواص شيخنا أبي الحسن الحرالي رحمه الله، فكان عالما بالفقه وأصوله وأصول الدين.[3]

والفقيه أبو الحسن علي بن الراوية أبي نصر البجائي، هو أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح وقيل فاتح بن عبد الله البجائي، فقيه مالكي رحل إلى الأندلس وبعدها إلى المشرق فسمع بالقدس الحسين بن جبير صاحب الرحلة المعروفة، وعاد إلى بجاية، فأقرأ وأسمع فكان متفننا، ضابطا، أمينا عدلا، صدرا في الزهد والورع والانقباض [4].

ومن الفقهاء أيضا أبو يوسف يعقوب بن يوسف الزاوي البجائي (ت620هـ):الفقيه الصالح المتعبد، فله معرفة بالفقه وأصوله وله مشاركة في علم العقائد، قرأ ببجاية ورحل إلى حاضرة افريقية

1- بدر الدين القرافي، المصدر السابق، ص: 157.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 353.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص:170.

4- الغبريني، المصدر السابق ، ص: 142.

ولقي بها المشايخ، وقرأ على الفقيه أبي العباس ابن عجلان، ثم رجع إلى بجاية وأقرأ بها وعظم أمره واشتهر إلى أن توفي [1].

وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد السلام، عرف بابن الطير(643-699هـ/1246-1300م) من أهل افريقية قرأ ببجاية وبحاضرة تونس وارتحل إلى المشرق وحج، وكان له باع في الفقه وأصوله، ولي القضاء ببجاية وهو لا يرغب في ذلك، وهو من اختصر كتاب المستصفى اختصارا حسنا [2].

وأبو عبد الله محمد بن محمد بن غريون الأنصاري البجائي ت (731هـ/1331م) كان عالم بجاية وخطيبها ومفتيها[3].

ولا يغفل علينا المشد إلى محمد بن أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم بم محمد بن عبد الصمد، الذي أخذ العلم عن أبيه فقد كان إماما كبيرا مقدما على أهل عصره في الفقه، فكان يضرب به المثل و قد ساعدت طريقته التي تميزت بالحوار و المناقشة في التدريس إلى تنشيط الأبحاث الفقهية النظرية ببجاية، كما أنه كان حافظا بارعا فقد حفظ" ظوالع في أصول الدين للبيضاوي"و" ربع من مدونة سحنون" و" أرجوزة التلمساني في الفرائض"[4].

1- نفسه، ص:194، 195.

2- نفسه، ص:194، 195.

3- ابن قنفذ القسنطيني، **شرف الطالب في أسنى المطالب**، تح: عبد العزيز صغير دخان، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1424هـ، 2003م، ص20.

4- السخاوي(شمس الدين بن محمد بن عبد الله)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، بيروت، دار الجيل، د.ط، د.س، ج9، ص، ص: 180، 181.

و أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المليانى المبوني ت (644هـ/ م)، حيث يقول عنه أحمد بابا التمبكتي انه كان فاضلا، متفننان كاملا، محصلا، مجتهدا، رحل إلى المشرق و لقي جلة من فضلاء ثم سكن بجاية و أقرأ بها وأسمع، له علم بالفقه فقد كان إماما في ذلك و كمل ما فات المازري عليه[1].

التصوف:

عرفه ابن خلدون فيقول:"هو العكوف على العبادة والانقطاع لله تعالى والإعراض عن الدنيا وزخارفها وزينتها، والزهد فيما يقبل الناس عليه من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة[2].

يعتبر علم التصوف من بين المعارف ذات الأهمية ومن أقدمها ببجاية، فقد سيطرت على الحياة الفكرية ببجاية لعدة عصور وبالتدقيق منذ نزول أبي مدين شعيب بها، فانتشرت الزوايا بها وبالنواحي المجاورة لها .

فكان للقطب سيدي بومدين دور بارز في الحركة الصوفية ببجاية خلال القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، حيث تخرج عليه مجموعة من العلماء سهلوا مهمة انتشار التصوف بها.

يضاف إلى ذلك توافد رجال التصوف عليها من الأندلس وتدريسهم لطلابهم، ومن هؤلاء محي الدين بن عربي وابن معين، كما درست بالمدينة رسالة القشيري وهو من رجال التصوف، كما عرفت بجاية عالما آخرا كانت له مشاركة كبيرة في الحركة الصوفية هو الشيخ زروق الفاسي الذي استقر ببجاية، وأقام مدرسة تخرج عليه مجموعة من الطلبة منهم الشيخ محمد بن يوسف المليانى، درس ببجاية التصوف العالم الأندلسي محمد عبد الحق بن ربيع أبي عبد الله السجلماسي، و أبو الحسن الرندي و أبو زكريا بن محجوبة.

1- أحمد بابا التمبكتي، **كفابة المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: محمد مطيع، المملكة المغربية، 1421هـ، 2000م، ج1، ص، ص: 77،78.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 381.

ومن أبناء بجاية الذين اشتهروا بالتصوف أبي زكرياء الزواوي الذي كانت له زاوية بمدينة بجاية[1]، وكان متشددا في دعوته ,يعتمد أسلوب الترهيب والتخويف في مخاطبة العامة [2].

أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي (663هـ/1264م)من قرطبة استوطن بجاية والذي كان من أولياء الله المتقين[3].

ومن كرامته ما حكي عن بعض فقراء بجاية وكان هذا الفقير من المجردين قال:أصبحت يوما وليس لنا قوت ولا شيء من الأشياء، وقد ولدت المرأة طفلة فانقبض باطني بانقباض وقتي وتشوش علي حالي واشتد قلقي، فخرجت هائما بنفسي إلى أن دخلت مسجد النطاعين فجلست فيه .

قال: جاء القرطبي وناولني صرة فيها دراهم وقال لي أنفق منها ولا تعدّها، ثم خرجت إلى السوق فأنفقت منها أشياء غير واحدة والصرة على حالها واتسع الحال على ذلك، وفي مرة دخلت لسوق الصوف فرأيت خرقة أعجبتني، فاشتريتها بثلاثين درهما وغلبتني نفسي إلى عد الصرة ففعلت فلم أجد إلا قليلا وفرغت[4].

أبو زكرياء المرجاني الموصلي: أحد الأتقياء الأبرار، كان مسجده المسجد المشهور الآن به حومة اللؤلؤة، وهو المعروف الآن بمسجد المرجاني وكان يجتمع فيه الأكابر والأفاضل[5].

أبو محمد عبد الله الشريف: كان له بأصول الدين معرفة، كان يقوم على الإرشاد لأبي المعالي قياما حسنا، وله في علم العقائد باع وساع وفكر مطاع ويثبت صور الحق بواضح البراهين.

1- حساني مختار، **الحواضر**، ص: 129.

2-ابن الزيات التادلي(أبو يعقوب يوسف التادلي)؛**التشوف الى رجال التصوف واخبارأبي العباس السبتي**؛تح:أحمد التوفيق؛المغرب؛مكتبة الاسكندرية؛2005؛ص:428؛مفتاح خلفات؛المرجع السابق؛ص:367.

3- الغبريني، المصدر السابق،ص:161.

4- حساني مختاري، **الحواضر**، ج2، ص: 130.

5- الغبريني، المصدر السابق، ص: 165.

كان يأكل من كد يديه من الخياطة وبعض التجارة وكان بسوق الصوافين من بجاية، فكان أهل السوق يحاشونه في وظيفتهم ولا يحملونه شيئا من تكاليفهم رعيا ما هو عليه من علم و والنسب، كما كان يحضر له خواص من الطلبة يلتمسون بركته فيجدون منفعتهم[1].

أبو الحسن علي بن أحمد بن السراج (560-657هـ/1165-1259م) باشبيلية، أخذ عن أبي عمر بن عبد الحق بن عبد المالك بن بونة العبدري وعن أبي القاسم السهيلي، رحل إلى العدوة واستوطن بجاية كان على سنن الفقهاء وعلى طريق المتعبدين الصلحاء، له رواية عالية متسعة أخذ عنه ببجاية جلة منهم الشيخ الفقيه أبو الحسن الرندي والفقيه أبو عبد الله القضاعي وغيرهم، توفي ببجاية سنة657هـ[2].

ولا تغفل كذلك على الشيخ أبو تمام الواعظ الوهراني الذي قال عنه الغبريني:"الشيخ الفقيه العابد الصالح المبارك المتعفف أبو تمام من أهل وهران "، سكن بجاية و اشتغل بها يعلم التذكير واستدعاء الخلق لباب الله تعالى، كان له مجلس يروق الحاضرين ويسر الناظرين، وكان بالجامع الأعظم وكان يوجد لكلامه في النفس أثر[3].

وأبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري البجائي ت (675هـ/ 1185م)؛ الفقيه، الإمام، المحصل، المحقق المجيد الصوفي المجتهد، أصله من آبدة ولد وقرأ ببجاية ولقي مشايخ، فكان عالما بالمنطق والتصوف، وقد نظم في مدة قراءته على الشيخ أبي الحسن الحرالي القصيدة الصوفية وكانت من نحو خمسمائة بيت[4].

1- نفسه، ص: 177.

2- الغبريني، المصدر السابق، ص: 181.

3- نفسه، ص:179.

4- نفسه، ص- ص: 85-87.

وكذلك أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي ت (699هـ/1300م)، الذي درس لطلابه كتاب "فضل قيام الليل" و"فضل تلاوة القران" للإمام بكر الأجري[1].

الأدب:

يعرفه ابن خلدون فيقول: هو إجادة في فني المنظوم والمنشور على أساليب العرب ومناحيها[2]، كما أن معرفة النحو تعتبر منذ عهد بعيد ضرورية لفهم الكتاب والسنة، فهما صحيحا ولصيانة اللغة العربية التي تتشرف بكونها لغة القرآن.

ومن بين الكتب العربية التي درست ببجاية كتاب الإيضاح لأبي علي الفارس، كتاب الجمل للزجاجي، كتاب القانون لأبي موسى الجزولي، كتاب آداب الكتاب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وكتاب المفصل للزمخشري وأخيرا كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه[3].

وقد عرفت بجاية اهتمام الكثير من العلماء بعلوم النحو ويذكر الغبريني من بينهم: أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي ت(673هـ- 1183م)، فيقول عنه:"الشيخ الفقيه الأستاذ النحوي اللغوي المحصل التاريخي ..."، من قلعة بني حماد انتقل إلى بجاية مستوطنا وبها قرأ وبرع، لقي مشايخ منهم أبو الحسن الحرالي وغيرهم.

كان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثة :النحو واللغة والأدب، فكان رحمه الله قويا في علم التصريف وكان له مجلس يدرس فيه الطلبة من بينهم أبو العباس الغبريني، ولهذا يقول عنه:"

1- الطاهر بوناني، "**نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**"، حوليات التراث، ع2، 2004 م، ع، ص19، ص: 16.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 471.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص: 27.

هو أفضل من لقيث في علم العربية..."[1]، من مؤلفاته :"الموضح في علم النحو" وله:"حدق العيون تنقيح القانون" وله:"نشر الخفي في مشكلات أبي علي"[2].

ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحي الأغماني فيقول عنه الغبريني:"الشيخ الفقيه النحوي المنطقي، الأستاذ الجليل اللغوي، من أهل أغمات استوطن بجاية وكان مشتغلا بالتدريس بها، وكان في علم العربية بارعا وله تحصيل لكتاب سيبويه، وليس هناك من أعرف منه بمقاصد كتاب سبويه ولا أشد منه تنظيرا وفهما لمسائله ..."[3].

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الخزرجي الشاطبي ت (691هـ/ 1293م)، كان عالما باللغة العربية وأصول الفقه وله شرح على الجزولية[4].

أما من اشتهر من البجائيين مهنة الكتابة السلطانية أبو المطرف أحمد بن عميرة ت(558هـ/1260م)، الذي تولى الكتابة الديوانية بالعديد من الحواضر الإسلامية، وغيره كثير إلا أن أغلبيتهم كانوا يفضلون الابتعاد عن الحكام والسلاطين تعففا وزهدا[5].

وممن اشتهر في الكتابة أيضا الفقيه المحدث المقرئ النحوي، الأديب المجيد اللغوي، الكاتب البارع التاريخي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الآبار[6]، صاحب القصيدة السينية المشهورة، استوطن بجاية ودرس بها وأقرأ

1- نفسه، ص: 95.الحفناوي(أبي القاسم)؛**تعريف الخلف برجال السلف**؛تح:خير الدين شقرة؛الجزائر؛دار كردادة؛ط:1؛2012؛ج:1؛ص:395.

2- نفسه، ص: 95.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص، ص:196، 197.

4- نفسه، ص: 126.

5- عرقوب سفيان، المرجع السابق، ص: 80.

6- الغبريني، المصدر السابق، ص: 257، وعبد السلام الهراس، "**إنتاج ابن الآبار البلنسي**",مجلة العهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج22، 1984م، ص: 105.

وروى وصنف وألف وهو ممن لا ينكر فضله، له تآليف حسنة و نزعات في علم الأدب بارعة مستحسنة، استدعاه المستنصر وسر لذلك وما يدل على سروره هذان البيتان:

بُشْرَايَ بَاشَرْتُ الهُدَى والنُّورَ في قَصْديَ المسْتنصرَ المنْصُورَا

وَ إذَا أَميرُ المؤْمنينَ لَقيتُهُ لمْ أَلْقَ إلَا نُصْرَة وسُرُورَا[1]

ومنهم الشيخ الفقيه المحدث النحوي التاريخي أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي، كان من المحدثين و من الحفاظ الكبار استوطن بجاية، فكان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حشي اللغة عنده مستعملا غالبا[2].

ابن أحمد الأنصاري وهو محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، من أهل مرسية كاتبا بليغا وشاعرا بارعا، رائق الخط فاستكتبه بعض أمراء الأندلس، انتقل إلى افريقية واستوطن بجاية، وكانت بينه وبين كتاب عصره مكاتبات ظهرت فيها براعته[3].

أبو عبد الله محمد بن مالك الطائي الأندلسي النحوي، صاحب التسهيل و الألفية وغيرهما[4].

وكذلك أبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور النحوي اللغوي تتلمذ على يد جماعة من أكابر العلماء، منهم أبو علي الشلوبين، استوطن بجاية وكان بها أستاذا للأمير يحيى

1- الغبريني، المصدر السابق، ص: 260.

2- بدر الدين القرافي، المصدر السابق، ص: 157.

3- المقري، **نفح الطيب**، ج7، ص: 416.

4- ابن قنفذ القسنطيني، **الوفيات**، ص: 332.

فحظي عنده وجعله من خواص مجلسه، انتفع الطلبة من دروسه ومن تآليفه "المقرب والشروحات"، "الإيضاح"، "شرح أبيات الإيضاح"[1].

الفقيه شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري[2]، ناظم القصيدة التي يقال لها البردة[3] في مدح خير عدّة النبي صلى الله عليه وسلم، واسمها الكامل "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"[4] **المبحث الثاني: العلوم العقلية:**

لم تتوقف بجاية على تربعها فقط على مناهج راسخة في العلوم العقلية فحسب، بل اهتم علماءها كذلك بالعلوم العقلية من تاريخ، جغرافيا، طب وصيدلة وفلك إلى غير ذلك.

الطب والصيدلة :

إن المحيط الفكري والثقافي الذي تميزت به بجاية هيأها لأن تكون مقصد أكابر الأطباء والصيادلة الذين حلوا بها في رحلاتهم العلمية، ففي جانب الصيدلة هناك إشارات تؤكد استمرارية البحث الصيدلي في بجاية، اعتمادا على أعشاب جبالها واستلهاما مما كان يجري من قبل في القلعة[5]، ولا شك أن هذه الأبحاث قد أثارت انتباها خاصا لدى بعض علماء الصيدلة والنبات المرموقين، فلقد كانت مدينة بجاية من بين المدن التي الأساسية التي زارها الصيدلي الاشبيلي الكبير,ابن الرّومية أحمد بن محمد بن خليل مفرح الأموي في رحلته العلمية إلى بلاد المشرق والمغرب سنة 612هـ، واستمرت

1- محمد طمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983م، ص: 202.

2- **البوصيري:** هو شرف الدين ابن عبد الله محمد بن سعيد الدولاسي البوصيري، وضع قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، (162بيت). ينظر:حاجي خليفة ؛**كشف الظنون عن ، أسامي الكتب والفنون**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، مج2، ص: 1331.

3- أنظر الملحق رقم:6 ص:100 .

4- محمود بوعياد، المرجع السابق، ص: 73.

5- عبد الجليل قريان، "**التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية وتلمسان في العصر الوسيط**"، وهران، عصور الجديدة، ع:10، 2014م، ص: 150.

ثلاث سنين ,والتقى فيها هلة من أعلام بجاية وأكابرها، كما كانت بجاية على الأرجح محل زيارة من قبل النباتي والصيدلي المالقي ابن البيطار[1].

وتبدو هذه الاستمرارية كذلك في التوجه الى بناء البيمارستان التي بقي بعضها قائما حتى القرن العاشر هجري.

كما يذكر الغبريني أن أبحاث الطب كانت تتم وفق القوانين النظرية والاستدلالات الجليلة، مما جعلها مقصد طلبة علوم الطب ومن أشهر هؤلاء الطبيب أبي القاسم محمد بن أندارس المرسي من أهل مرسية [2]، فكان طبيبا باحثا جيدا,وله حدّة ذهن وجودة تبسط لإقراء الطب، قرأت عليه أرجوزة ابن سينا وقام بوضع أرجوزة في أسماء الأدوية الطبية، حيث كلف الغبريني بمساعدته في هذا الأمر[3].

ومن العلماء البجائيين أو الوافدين عليها أيضا والذين اشتغلوا مهنة الطب، أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (660هـ/1261م) الذي كان له اهتمام كبير بعلم الطب، حيث كان له مجلس للتدريس بمنزله ببجاية[4].

ومن المهتمين بالدراسات الطبية ابن المليح الذي كان مشهورا، ومن أطباء القلعة عمر بن البيروخ الذي كان خبيرا في الأدوية المركبة والمنفردة، وعارفا بالأمراض وطرق علاجها ولقد ترك الكثير من الكتب[5].

الرياضيات:

1- المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص: 691.

2- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 389.

3- الغبريني، المصدر السابق، ص، ص: 101، 102.

4- عرقوب سفيان، المرجع السابق، ص: 89.

5- حساني مختار، **تاريخ الجزائر**، ص: 63.

ومن العلماء البجائيين الذين اهتموا بهذا العلم أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي، الذي يقول عنه الغبريني:" كان له علم بالفقه والفرائض وكان له علم بالحساب سبق فيه الأوائل، ولم يكن ببجاية في وقته أحد يريد قراءة هذا العلم إلا قرأه عليه ت(660هـ/1262م) رحمه الله[1].

التاريخ:

لغة: هو الإعلام بالتوقيت.

اصطلاحا: هو الوقوف على أحوال الأمم مثل الحوادث والوقائع المختلفة، والأنبياء وسيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم[2].

ومن اهتم بهذا العلم من البجائيين الراوية أبو عبد الله محمد بن علي بن حمادة صاحب كتاب المحتاجة في تاريخ صنهاجة، وهو أبو عبد الله محمد بن علي بن حمادين عيسى بن أبي بكر الصنهاجي مؤرخ نشأ ببرج حمزة قرأ ببجاية، ومن كتبه "النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة" و"أخبار ملوك بني عبيد" و"الأعلام بفوائد الأحكام"، لعبد الحق الاشبيلي وكتاب لخص فيه ابن جرير الطبري وديوان شعر[3].

وكذلك ابن الآبار الذي ألف العديد من المؤلفات،"الحلة السيراء" و"التكملة" و" أعتاب الكتاب"

1- الغبريني، المصدر السابق، ص: 227.

2- ابن خلدون، **المقدمة**، ص: 506.

3- ابن قنفذالقسنطيني، **الوفيات**، ص: 311، والغبريني، المصدر السابق، ص: 193.

وأيضا أبي محمد القلعي[1] الذي كانت له حلقة علمية بالمسجد الجامع ببجاية، ومحمد بن ميمون حفيد ميمون قاضي القلعة، ويروى أن حمادين إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي قد ألف كتابا في التاريخ للأمير العزيز بالله بن المنصوربن الناصر[2].

وكذلك أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني المتوفي (704هـ/1304م) صاحب كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، وترجم فيه 109عاما في مختلف العلوم والفنون[3].

و مهما بلغت بجاية في احتضانها للعديد من العلماء، غير أن اهتمام علماءها بالعلوم النقلية برز في الميدان بكثرة نقابل اهتمامهم بالعلوم العقلية، و مع ذلك تبقى بجاية منارة العلم و العلماء و هذا ما جعل أحد الشيوخ يتغنى بها فيقول عن بجاية:

لَوْ وَصَفْتُ لله مَا رَأَيْتُ في بجَايَة وَ هيَ

بلَادُ الوَرَع وَ العلْم وَ تُرَابِي حَقيقيًا

قرَاءَةُ العُلُوم المنْقُول بهَا وَالمفْهُوم(4)

1– **أبي محمد القلعي**: فقيه مالكي من قلعة بني حماد، استوطن بجاية وأخذ عن شيوخها كأبي العباس المليانى توفي 669 هـ/ 1271م. ينظر: أحمد بابا التمبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس، كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1989، ص: 216.

2- حساني مختار، **تاريخ الجزائر**، ص: 62.

3- عبد القادر بوباية، "**طرق التدريس في المغرب الإسلامي:فاس وبجاية أنموذجا**"، الجزائر، العصور، ع1، 2011م، ص:53. 4-محمد ابن صعد الأنصاري التلمساني؛**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**؛تح:يحي بوعزيز؛الجزائر؛منشورات ANEF؛ط:1؛2002م؛ص ص:51؛52.

المبحث الثالث: الروابط الثقافية لبجاية الحفصية ودول الجوار.

شهدت الدولة الحفصية نهضة ثقافية شاملة لا سيما في ظل وجود الأمراء الحفصيين الذين وفروا الاستقرار والأمن والرخاء لرعاياهم، فأتاحوا كل ما من شأنه أن ينهض بثقافتهم ويرقى بعلمهم.

ولقد تضافرت عدة أسباب لإنعاش هذه النهضة الثقافية التي شهدتها بجاية لعل أهمها الروابط الثقافية بين الدول الحفصية وبين دول الجوار الذين كان لهم باع طويل في العلم والتعليم ,ومن بين هذه الدول:

الأندلس:

تسبب العدوان المسيحي على مدن المسلمين في الأندلس إلى هجرة الآلاف من الأندلسيين فرارا من وحشية الأسبان، وكان لبجاية نصيب الأسد من هؤلاء اللاجئين الذين اتخذوا من التعليم مهنة للارتزاق، لا سيما وأن الدولة الحفصية كانت في بداية ظهورها بحاجة إلى الاستفادة من هؤلاء اللاجئين في مختلف المجالات، وقد كان التأثير الأدبي أشد ظهورا ومن بينهم ابن الآبار القضاعي البلنسي أديب، حافظ، شاعر أصله من رندة ولد بها سنة 675هـ وتتلمذ على يد أبو الربيع سليمان[1] وغيرهم، نشأ في بيت علم فقد كان والده من أهل العلم، قرأ على طائفة من العلماء وأجازوه وقرأ عليه ابن أبي الآبار وانتفع بعلمه[2]، وقد أثنى عليه العلماء فقال عنه ابن عبد الملك المراكشي "محدثا مكثرا ضابطا عدلا ثقة، ناقدا يقظا، ذاكرا للتواريخ على تباين أغراضها، متبحرا في علوم اللسان نحوا ولغة و أدبا، كاتبا و شاعرا...عني بالتأليف و بحث فيه..."، و عقب سقوط بلنسية في يد الأسبان سنة 636هـ رحل ابن الآبار إلى تونس، و أقام في بجاية إلى أن استدعاه أبو زكريا الحفصي و ولاه خطة الكتابة في بلاطه، و لكنه لم يستمر فيها طويلا فخرج منها بعدما رفض الانصياع للأوامر السلطانية[3]، فتركت أمور الكتابة للعلامة أحمد الغساني، غير أن ابن الآبار استنجد بالمستنصر ابن أبي زكريا وطلب منه التوسط عند أبيه لعودته لوظيفته، فقبل الأمير زكريا عودته وألف ابن الآبار كتاب "أعتاب الكتاب"يضرب فيه مثلا عن عفو الملوك عن أخطاء الكتاب[4].

كما نجد أن المستنصر إذا ورد إليه نص بلاغي أو أدبي فيه غموض، يطلب حضور ابن الآبار لتوضيحه مع أنه كان لا ينظر إليه إذا حضر مجلسه وهنا يقول ابن الآبار:

أَمْري عَجيبٌ في الأُمُور بَيْنَ التَّوَاري وَالظُّهُور

1- ابن الآبار(أبي بكر القضاعي)، **الحلة السيراء**، تح:حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1963م، ج1، ص: 17.

2- نفسه، ص: 14.

3- ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ص: 37.

4- ابن الآبار، **أعتاب الكتاب**، تح:صالح الأشتر، مركز ودود للمخطوطات، ط1، 1380هـ، 1961م، ص: 12.

مُسْتَعْملٌ عنْدَ المِغيب وَمُهْملٌ عندَ الحُضُورْ.

ومما زاد غضب المستنصر عليه كثرة الوشايات التي سعى بها منافسه كمحاولته لكشف طالع المستنصر، فأمر بسجنه وأرسل الغساني لتفتيش داره ليقتل بعدها سنة 658هـ وأحرقت كتبه[1]، وقد بلغ عددها خمسة وأربعين مؤلفا ولكن المستنصر أحرق معظمها.

ونذكر منها كتاب الحلة السيراء وهو أحسن كتبه وأعظمها فائدة، وكتاب التكملة لكتاب الصلة، الاستدراك وغيره[2].

ومن الأندلسيين كذلك نجد أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومي، ولد بجزيرة شقر سنة 580هـ، أديبا بليغا أجاد النثر والنظم وله معرفة بالرواية، أخذ عن علماء الأندلس وهم شيوخ ابن الآبار، استوطن بجاية ودرس فيها الفقه والأدب فاستدعاه الخليفة المستنصر وقربه منه، فكان شديد الحرص على خدمة الملوك وشديد الرغبة في المظاهر الدنيوية، وهذا ما ذكره المستنصر عندما سئل عنه فقال:"ذلك الرجل رام إفساد دنيانا علينا، فأفسدنا عليه دينه"

توفي سنة 652هـ/1254م تاركا مؤلفات قيمة في علوم النثر والشعر كالتبيان في علم الكلام والتنبيهات على ما في التبيان من التمويهات...الخ[3].

وكذلك أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي المعروف بابن عصفور، من أهل اشبيلية ولد بها سنة597هـ/1291م، وكان حافظا متقنا، كثير المطالعة، رحل إلى بجاية وسكن بها عهد المستنصر حيث تولى مهنة التعليم,من مؤلفاته"شرح الإيضاح"[1].

1- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982م، ج1، ص:30 .

2- ابن الآبار، **الحلة السيراء**، ج1، ص: 42.

3- الغبريني ، المصدر السابق، ص- ص: 250-253، ومحمد النيفر، **عنوان الأريب عما نشأ بالمدينة التونسية من عالم أديب**، تد واستدراك:علي النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م،ج1، ص:393.

توفي ابن عصفور سنة669هـ/1270[2].

ومنهم حازم بن محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري الأوسي القرطاجي، ولد بقرطاجة سنة 608هـ وكان والده فقيها، رحل إلى تونس أيام المستنصر فولاه ديوان الإنشاء بعدما عرف عنه من سلوك حسن وعلم بليغ وحفظه لأشعار العرب وبراعة في الخط، له مؤلفات عدة من أشهرها "المقصورة" التي نظمها في مدح الخليفة المستنصر وكذلك مجموعة قصائد ومخططات وله ديوان شعر ...[3].

ومنهم أحمد بن محمد بن القرشي الشريف الغرناطي، حافظ وأديب ومحدث، قدم إلى تونس واستقر بها وتصدر للتدريس في جامع بجاية الكبير، درس أيضا بالمدرسة التي أسسها الأمير أبو زكريا الثاني المعرضية، توفي سنة 692هـ/1287م وله عدة مؤلفات كالمشرق في علماء المغرب والمشرق[4].

ومنهم أبو العباس أحمد بن إبراهيم الغساني، كان كاتبا عند المستنصر وكان مُجيدا للخط المشرقي ثريا، وهذا ما يؤكده ابن الشماع توفي سنة 668هـ /1269[5].

ومنهم علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف الغرناطي، ويعرف بابن سعيد أبي الحسن أديب وشاعر ولد بغرناطة سنة 610هـ، نزل تونس وخدم المستنصر الحفصي ببجاية،

1- الغبريني، المصدر السابق، ص: 318.

2- ابن قنفذ، **الفارسية**، ص: 123.

3- ابن القاضي (أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي)، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح:محمد الأحمدي أبو البنود، القاهرة، دار التراث، ج1، ص: 254.

4- محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ج1، ص: 199.

5- أحمد بن الشماع، المصدر السابق، ص، ص: 55، 56.

فنال مكانة مرموقة عنده، له عدة مؤلفات:مختصر الجغرافيا، المغرب في حلى المغرب... الخ، توفي سنة 675هـ/1286[1] وكان يلقب برئيس الدولة.

ومنهم محمد بن الحسن بن أبي الحسين سعيد بن خلف العنسي، كانت له مساندة للأمير أبي زكريا الثاني فيقول عنه ابن قنفذ :"كان كبير داره وخاصة رجاله من غير الموحدين، كان رئيس الدار من الداخلة والأندلس وغيرهم..."[2]، توفي 671هـ/1283 م.

ومنهم في الطب ابن البيطار[3] ومحمد بن أندراس أصيل مرسية، ونزيل بجاية وهو الطبيب الخاص بالمستنصر، توفي سنة 729هـ[4].

ومنهم أبو بكر محمد بن محي الدين بن محمد سيد الناس اليعمري الاشبيلي، ولد سنة 600هـ كان حافظا للحديث عارفا برجاله وأسمائهم، نزل إلى بجاية وولي الإمامة والخطابة بجامعها الأعظم وتصدر للتدريس بها، فلما ذاع صيته استدعاه المستنصر الحفصي فلما دخل عليه طلب منه أن يقرأ بين يديه أية من كتاب الله[5].

1- السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن)؛ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ، 1979م، ج2، ص: 209.

2- ابن قنفذ، **الوفيات**، ص: 209.

3- المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص: 691.

4- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 389.

5- الغبريني، المصدر السابق، ص، ص: 246، 247، و محمد الطالبي،" **الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين**"، الجزائر، الأصالة، ع: 19، 2012م، ص: 46، ع ص: 83.

فقرأ قوله تعالى :"**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ**..."[1]، فأعجب بقراءته وقربه منه توفي سنة 618هـ[2]، وغيرهم كثير.

صقلية:

أما الدولة الثانية التي ساهمت في حضارة الحفصيين فهي صقلية والتي تعتبر تابعة من توابع المملكة التونسية، فتحها أسد بن الفرات سنة 212هـ في عهد الدولة الأغلبية[3].

بعدما سقطت صقلية في يد النورمان سنة 484هـ، هاجر إلى تونس وبجاية عدد من الصقالبة، وكانت صقلية تزخر بالعلماء والأدباء منهم المازري الذي درست مؤلفاته في تونس وبجاية، فكان طلاب العلم يرتحلون إليه لأخذ العلم منه أو الحصول على إجازة علمية منه ، إلا أن الاستفادة العظمى من الصقالبة كانت في المجال الطبي، حيث تتلمذ أبناء بنو حفص على أيديهم وكان لهم أكبر الأثر في نشر الطب في تونس .

ومنهم أحمد بن عبد السلام الشريف الحسيني الصقلي أبو العباس الطيب، كان يدرس الطب في جامع الزيتونة ثم انشغل في المارستان الذي أسسه أبو فارس عبد العزيز الحفصي، له كتاب في حفظ الصحة...[4].

1- سورة أل عمران، الآية: 159.

2- الغبريني، المصدر السابق، ص: 249.

3- **الدولة الأغلبية**: نسبة إلى مؤسسها إبراهيم بن سالم التميمي سنة184هـ، وكان فقيها، أديبا، شاعرا، قمع أهل الشر بإفريقية، سقطت على يد عبد الله الشيعي 296هـ.ينظر: ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ليفي بروفنسال ، لبنان، دار الثقافة ، ط3، 1983م، ج1، ص- ص: 96- 146.

4- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج2، ص: 390.

ومنهم أيضا محمد بن عثمان الشريف الحسيني الصقلي من مواليد تونس، ومن أسرة اشتهرت بالطب في العصر الحفصي له المختصر الفارسي ألفه باسم السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي، وقد امتاز بأوصاف أمراض لم يسبق لأحد قبله في أمراض المخ والعينين...

دول المغرب:

أما بالنسبة لفاس فقد امتدت الروابط الثقافية معها، فكان علماء بجاية وتونس يرحلون إليها لتلقي العلوم، فقد كانت فاس تمثل أرقى العواصم الإسلامية ثقافة، وكانت بجاية بالمقابل لا تقل عنها مكانة، فكان علمائها يرحلون إليها للقاء بعلمائها والحصول منهم على إجازات، فالمقري يقول:" لم يكن منهم من له عناية بالرحلة، بل قصرت همهم على طريق تحصيل القرآن ودرس التهذيب فقط..."[1]

أما بالنسبة لبلاد المشرق الإسلامي، فكانت الرحلة إلى المشرق تعد علامة بارزة في تاريخ أي عالم أو أديب، فمنذ نشوء الحركة العلمية في أقطار المغرب لم تنقطع رحلة علمائه إلى المشرق، وهذه الرحلات لها أثرها في انتقال مؤلفات المغاربة إلى المشرق وخاصة إلى مصر التي زخرت بأعلام ذوي شهرة.

مصر:

وقد أشار ابن خلدون إلى فضل مصر فقال:"ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع... "[2].

1- شهاب الدين أحمد محمد المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: إبراهيم الأبياري وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1361هـ، 1942م، ج3، ص، ص: 27، 28.

2- ابن خلدون، **العبر**، ج6، ص:70

ومن بين العلماء العالم الجليل يحي بن معطي الزواوي زين الدين، وهو من العلماء الذين بلغ صيتهم المشرق والمغرب ولد بزواوة سنة 562هـ، درس ببجاية ثم انتقل إلى المشرق بمصر واستوطن بها وتصدر للتدريس بالجامع العتيق[1].

ومنهم تقي الدين الموصلي الذي اشتهر أمره في بجاية، وقال عنه الشيخ أبي الحسن واكرالي :"أنه من أساطين الحكمة."[2].

ومنهم أحمد بن عبد الله الزواوي الذي اشتهر في المشرق، مما جعل السخاوي يقول عنه أنه من الشخصيات المغربية التي اشتهرت في علوم الفقه، يضاف إليه العالم الجليل أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبد الله الزواوي المشذالي.

وعبد الله بن أحمد بن القاسم البجائي واسمه عبد الرحمن بن عثمان التميمي، يعرف أيضا بابن الخطيب، يكنى أبا محمد رحل إلى المشرق فاتصل بعلمائه وعاد إلى بجاية فتولى القضاء بها ثلاث مرات ثم عزل سنة 608هـ.

ومن بين الذين زاولوا مهنة التدريس في المشرق من البجائيين أحمد بن منصور الحميري الذي ترجم له السخاوي، لكن ما يعاب على هذه الترجمة أنها كانت مختصرة فهو لم يذكر تاريخ مولده ولا الشيوخ الذين درس عليهم، بل اكتفى بقوله أنه شارح الأجرومية وهو من بين شيوخه الذين أخذ عنهم بالقاهرة، أما وفاته فكانت سنة 837هـ/1433م[3].

1- حساني مختاري، **الحواضر**، ج2، المرجع السابق، ص: 102.

2- الغبريني، المصدر السابق، ص: 166.

3- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج9، ص: 187.

وما يلاحظ على بجايةأنها شهدت حركة علمية كبيرة من العلماء المتضلعين في شتى المعارف والعلوم؛فالعالم لم يقتصرعلى معرفةعلم واحد بل تعدى ذلك إلى الإلمام بجميع العلوم؛أدب؛فقه؛تصوف؛حديث...الخ

أما عن العلوم التي كانت تدرس أنذاك؛فنجد العلوم العقلية لم يكن لهاحظ مثل ماهو الشأن لأهتمام جل العلماء بالعلوم النقلية.

خـــــاتمـــة

لقد تميزت مدينة بجاية خلال العهد الحفصي و ما سبقه بمجموعة من المظاهر السياسية والاقتصادية و حتى الثقافية، إذ كانت تمثل العاصمة الثانية للدولة الحفصية بعد تونس.

عرفت بجاية نظام الخلافة و كان الحكم بها وراثيا، و يعاون الخليفة هيئة استشارية أطلق عليها اسم أشياخ البساط، كما عرفت أيضا نظام الحجابة و الوزارة و الحسبة و غير ذلك و لا نغفل على منصب القضاء الذي أولاه أمراء بنو حفص عنايتهم لأهميته في ضمان الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي.

كما شهدت ولايتها مجموعة من الأمراء اختلفا في تسيير شؤون إدارتها، فمنهم من كان حريصا على شؤون رعاياها و منهم من أهملها، و تعد فترة الأمير المستنصر بالله الفترة الذّهبية من تاريخ بجاية حيث حافظ على إستمراريتها بحسن التدبير في أمورها، كما حرص أمراءها على إقامة علاقات خارجية سياسية شملت كل من بنو مرين و بني زيان ؛ النصّارى إضافة إلى مصر، و قد مرت هذه العلاقات بعدة مراحل ارتبطت بالأحوال و الظروف السياسية التي كانت تمر بها كل دولة من الدّول الأنفة الذكر، بالرغم من الثورات التي تخللتها في عدة فترات خاصة ثورة الدعي، لكن بالرغم من أن بجاية كانت تابعة للدولة الحفصية إلا أن هذا لم يمنع أهلها من الانفصال عنها لعدة مرات، رغبة لولاتها في الاستقلال تارة أو التوسع على حسابها تارة أخرى.

كما كانت أهم مدينة ساحلية تركّزت فيها مختلف الأنشطة الاقتصادية و الاجتماعية، و تبلور ذلك من خلال الفئات السكانية المكّونة لمجتمع بجاية، و أدت هذه التركيبة المختلفة إلى إيجاد تفاعل اجتماعي و اقتصادي كانت له خصائصه و مميزاته، تكتب اختلاف البنية الاجتماعية بمدينة بجاية حيث ضمت فئات مختلفة: البربر، العرب، الأندلسيين، أهل الذّمة...الخ.

أما بالنسبة للمجال الاقتصادي فعرفت تنوع في الأنشطة الاقتصادية من حرف و صناعات، وذلك بفضل التفاعل ما بين الفئات الاجتماعية، حيث كان لكل فئة أو طائفة حرفتها أو مهنتها الخاصة بها، وكان لكل حرفة شارعا خاصا بها مثل: سوق النسيج، سوق الصياغين، العطارين...الخ.

بالإضافة إلى وجود مختلف أنواع الصناعات من نسيج، رخام، سفن، خشب، و خاصة الشمع الذّي ظل من أحسن وسائل الإنارة لدى الأوربيين، و غيرها من الصناعات و ذلك راجع إلى توفر المواد الأولية بها فتوافد عليها تجار الدوّل المجاورة إليها بعدما توسع اقتصادها برا و بحرا.

أما بالنسبة للجانب الزراعي فعمل سكانها في الميدان الفلاحي فتنوعت منتوجاتها، فأكسب ذلك بجاية أهمية تجارية كبيرة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي حيث أصبح ميناءها أساسي للتصدير و الاستيراد، فأضحت من خلاله بجاية ملتقى الطرق البحرية.

و قد كانت هناك مبادلات تجارية بينها و بين الدويلات المجاورة لها بل تعدت ذلك إلى إقامة علاقات مع الجمهوريات الإيطالية فأبرمت عدة اتفاقيات أو معاهدات.

كما لا يخفى علينا دور الأندلسيين في مدينة بجاية و ما قدموا به من وسائل و طرق جديدة، سواء في الميدان الاقتصادي أو الثقافي بل حتى الإداري، كما هو الشأن لابن الآبار الذي خصص لكتابة العلامة، كما كان أيضا الفضل للأندلسيين في استصلاح الأراضي الزراعية، فقد كان منهم التاجر، الحرفي...الخ، فلن يقتصر دورهم فقط على التدريس أو طلب العلم بل تعدى ذلك ممن جعل أهل بجاية يتأثرون ببعض العادات و التقاليد الخاصة بالأندلس، خاصة في مجال الأناقة والاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي يتم عن طريق إيقاد الشموع، و توشيح الأناشيد الدينية وغير ذلك من العادات التي ما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، و بذلك كانوا يمثلون أحد الفئات الأساسية المكونة لمجتمع بجاية كما لا نغفل على دور المرأة في بجاية، فقد ساهم البعض منهن في تنشيط الحركة الاقتصادية بالبلاد كاحترافهن لمهنة النسيج، الغزل و غير ذلك، و منهن من ساهمن في تنشيط الحركة العلمية كالأديبة عائشة التي اشتهرت بحسن خطها و هذا ما يؤكده الغبريني .

أما من الناحية الثقافية فقد تميزت بجابة بإحياء المذهب المالكي بعد أفول نجمه في عهد الدولة الموحدية، فكثر الإنتاج الأدبي و تعددت المؤلفات و تنوعت العلوم ما بين نقلية و عقلية كالنثر الفني الذي تنمقت به الرسائل الرسمية و كذلك الشعر، و التعليم الذي احتل مكانة كبيرة و هذا بوجود

الكتاتيب و المساجد وغيرهما، فتحولت إلى منارة علم نزح إليها أقطاب العلم و الأدب من المغرب و الأندلس.

و بذلك فقد كانت الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية ببجاية الحفصية فاترة تتجاذبها مؤشرات أندلسية بالرغم من كل النكسات التي تعرضت لها من ضعف أمراء لا يملكون الشخصيات القوية و الإرادة الحازمة و كذلك كثرة الصراعات الداخلية و الخارجية، إلا أنها استطاعت أن تصمد طيلة القرن 7 إلى غاية ق 9هـ، و أن تترك في البلاد أثرا عميقا في الحفاظ على تراث ثقافي عريق و ممتاز.

الملحق رقم: 01

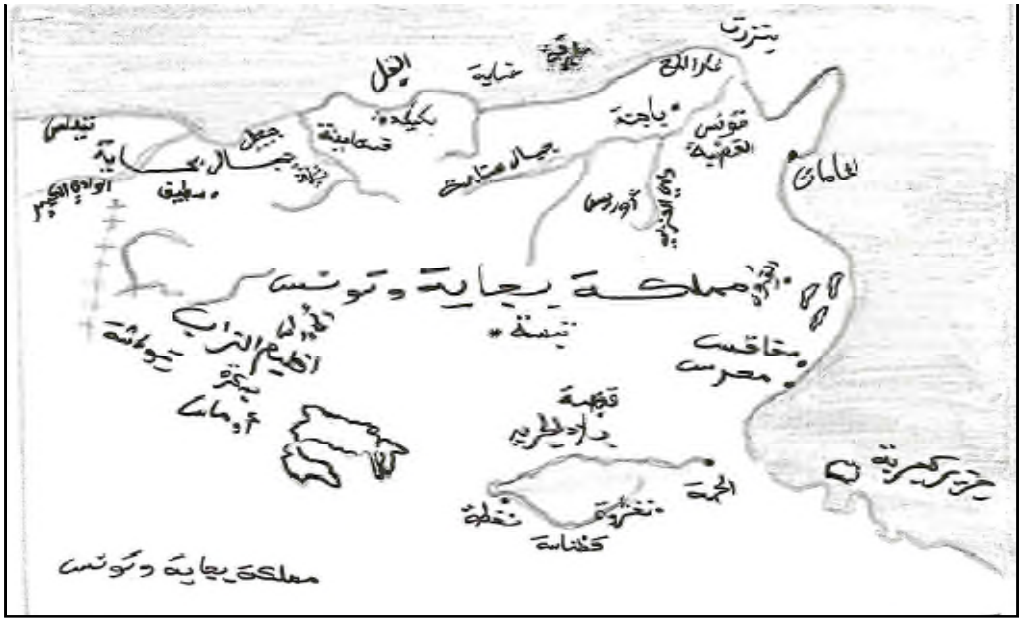

مملكة بجاية و تونس

الحسن الوزان، المصدر السابق، ج: 2، ص: 50.

الملحق رقم : 02

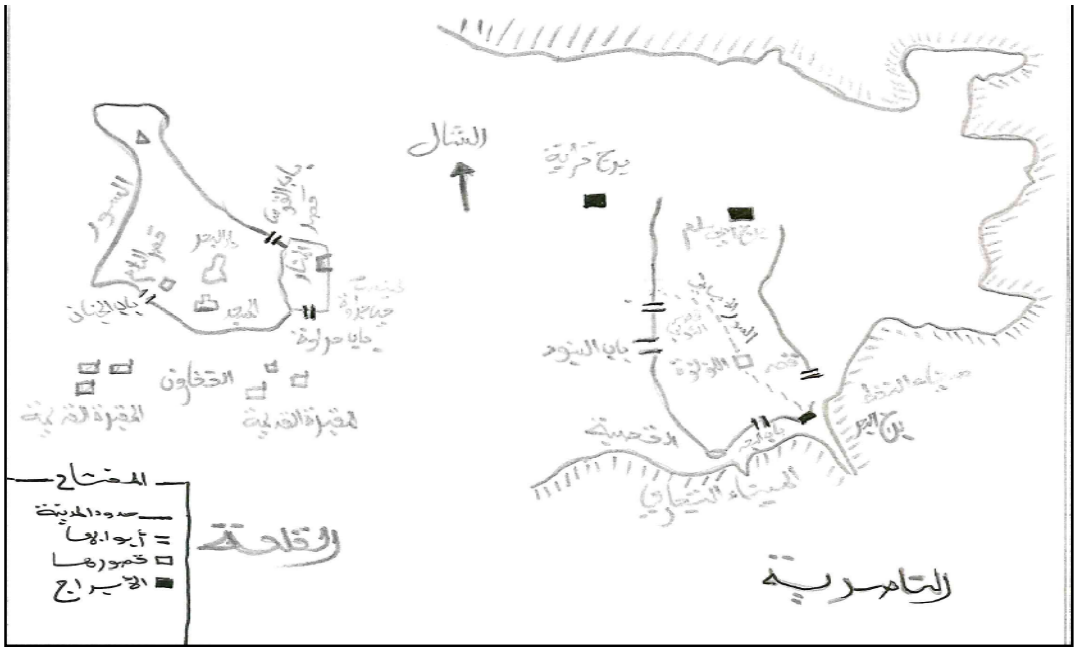

خريطة تمثل مدينة الناصريةو القلعة.

1– محمد الطمار، الروابط الثقافية، ص: 155.

الملحق رقم: 03

راية الحفصيين في بونة وبجاية

1

راية الحفصيين في تونس وطرابلس

1- عادل أنور أخضر، أطلس تاريخ الجزائر، مر:ناجي يحي؛الجزائر، دار الشروق العربي، د.ط، د.س.ط، ص:78 .

الملحق رقم: 04

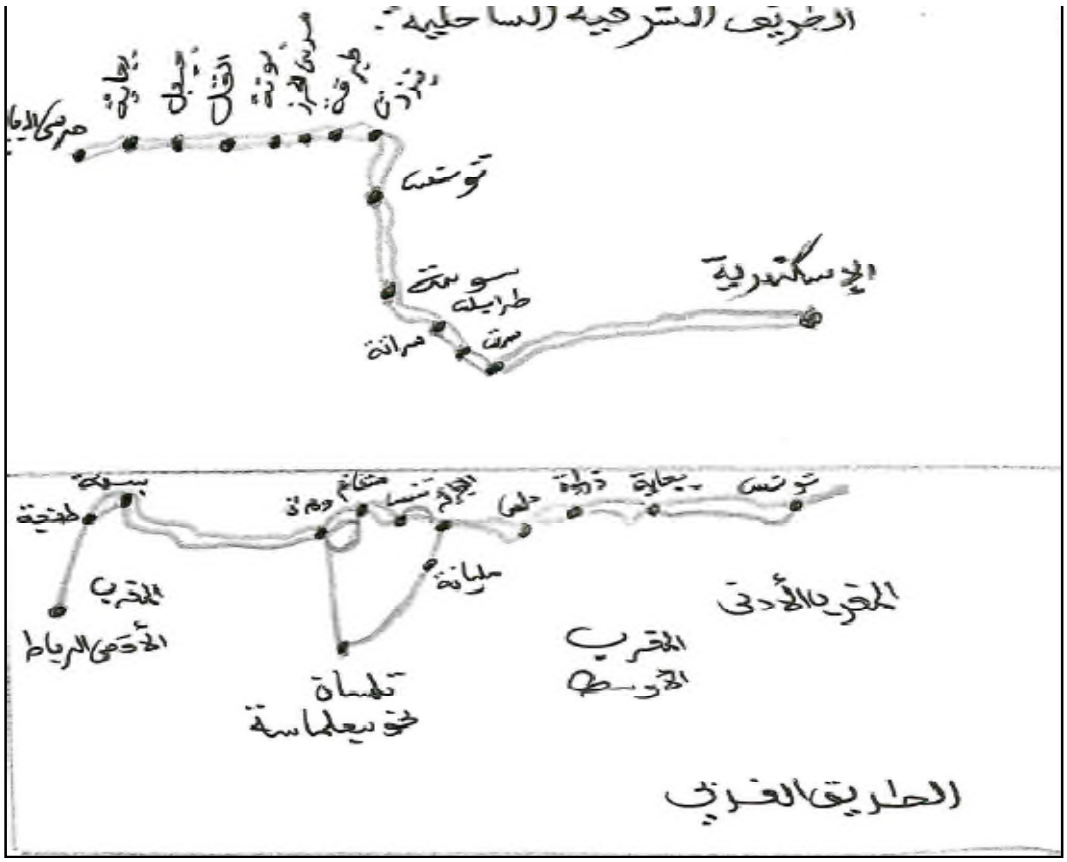

الطريق الشرقي و الغربي لبجاية

1- مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص: 106

الملحق رقم: 05

دينار ذهبي مسكوك في عهد الأمير أبو زكريا يحيى،
وهو يشبه الدينار الموحدي في اشتماله على مربع، ويبلغ قطر الدينار(29مم)، ووزنه

1- عادل أنور خضر، المرجع السابق، ص88.

الملحق رقم: 06

أبيات من قصيدة البُردة المباركة

للإمام شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَـــــمِ ... مَزَجْتَ دَمعا جرى مِن مُقْلَةٍ بِـــــدَمِ

أَم هَبَّتِ الريحُ من تلقاءِ كاظِمَـــة ... و أومَضَ البرقُ في الظَّلماءِ مِن اِضَـــمِ

فما لعَينيك اِن قُلْتَ اَكْفُفَا هَمَتَـــا ... و ما لقَلبِكَ اِنْ قلتَ استَفِقْ يَهِـــــمِ

أيَحسب الصَبُّ أنَّ الحبَّ مُنكَتِـــمُ ... ما بينَ منسَجِمٍ منه و مُضْطَـــــرِمِ

لَوْلاَ الهوى لم تُرِقْ دمعا على طـــلَلٍ ... ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البـانِ و العَلَـــــمِ

فكيفَ تُنكِرُ حبا بعدما شَـــــهِدَت ... به عليك عُدولُ الدمتعِ و السَّقَـــمِ

وأثْبَتَ الوَجْدُ خَـــطَّي عَبْرَةٍ و ضَنَى ... مثلَ البَهَارِ على خَدَّيك و العَنَـــمِ

نَعَم سرى طيفُ من أهـــوى فأَرَّقَنِي ... و الحُبُّ يعتَرِضُ اللذاتِ بـــــالأَلَمِ

يا لائِمي في الهوى العُذْرِيِّ معـــذرَةً ... مِنِّي اليك و لَو أنْصَفْتَ لَم تلُـــــمِ

عَدَتْكَ حالي لا سِرِّي بمُسْتَـــــــتِرٍ ... عن الوُشاةِ ولا دائي بمُنْحـــــــسَمِ

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لكِنْ لَستُ أسمَـــعُهُ ... اِنَّ المحِبَّ عن العُذَّالِ في صَمَـــمِ

اِنِّي اتَّهَمْتُ نصيحَ الشَّيْبِ فِي عَـــذَلِي ... والشَّيْبُ أبعَدُ في نُصْحٍ عن التُّهـــمَ

فانَّ أمَّارتِي بالسوءِ ما اتَّعَظَـــــت ... من جهلِهَا بنذير الشَّيْبِ و الهَـــرَمِ

ولا أعدَّتْ من الفِعلِ الجمـــيلِ قِرَى ... ضَيفٍ أَلَمَّ برأسي غيرَ مُحتشِـــــمِ

لو كنتُ أعلمُ أنِّي ما أُوَقِّـــــــرُهُ ... كتمتُ سِرًّا بَدَا لي منه بالكَتَـــــمِ

مَن لي بِرَدِّ جِمَاح مِن غوايتـــــــتها ... كما يُرَدُّ جِمَاحُ الخيلِ باللُّجُـــــمِ

فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَ شهوَتِهـــــا ... اِنَّ الطعامَ يُقوِّي شهوةَ النَّهِـــــمِ

والنَّفْسُ كالطِّفلِ إن تُهمِلْهُ شَبَّ عـــلى ... حُبِّ الرَّضَاع وِ إنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِـــمِ

وخَالِفِ النفس و الشيطانَ و اعصِهِمَا ... و اِنْ هما مَحَّضَاكَ النُّصـــحَ فاتَّهَـــمِ

[1]– **البوصيري (شرف الدين أبي عبد الله)، ديوان البصيري، شر و تق: أحمد حسن بسبح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1995م، ص:45**

الملحق رقم: 07

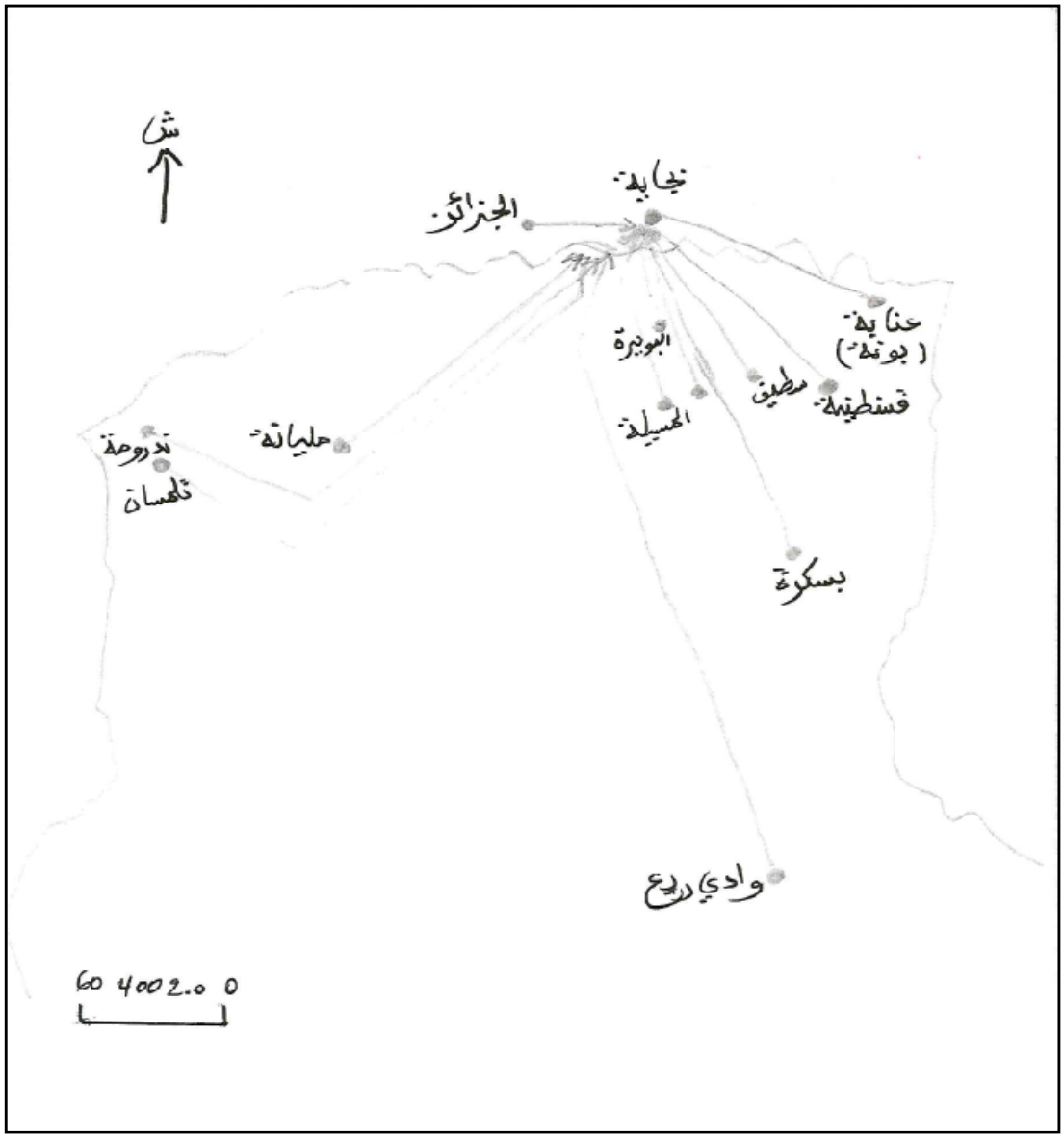

مواطن انتقال صوفية المغرب الأوسط إلى بجاية

1– عائشة ناصر و هناء صحراوي، المرجع السابق، ص: 86.

الملحق رقم: 08

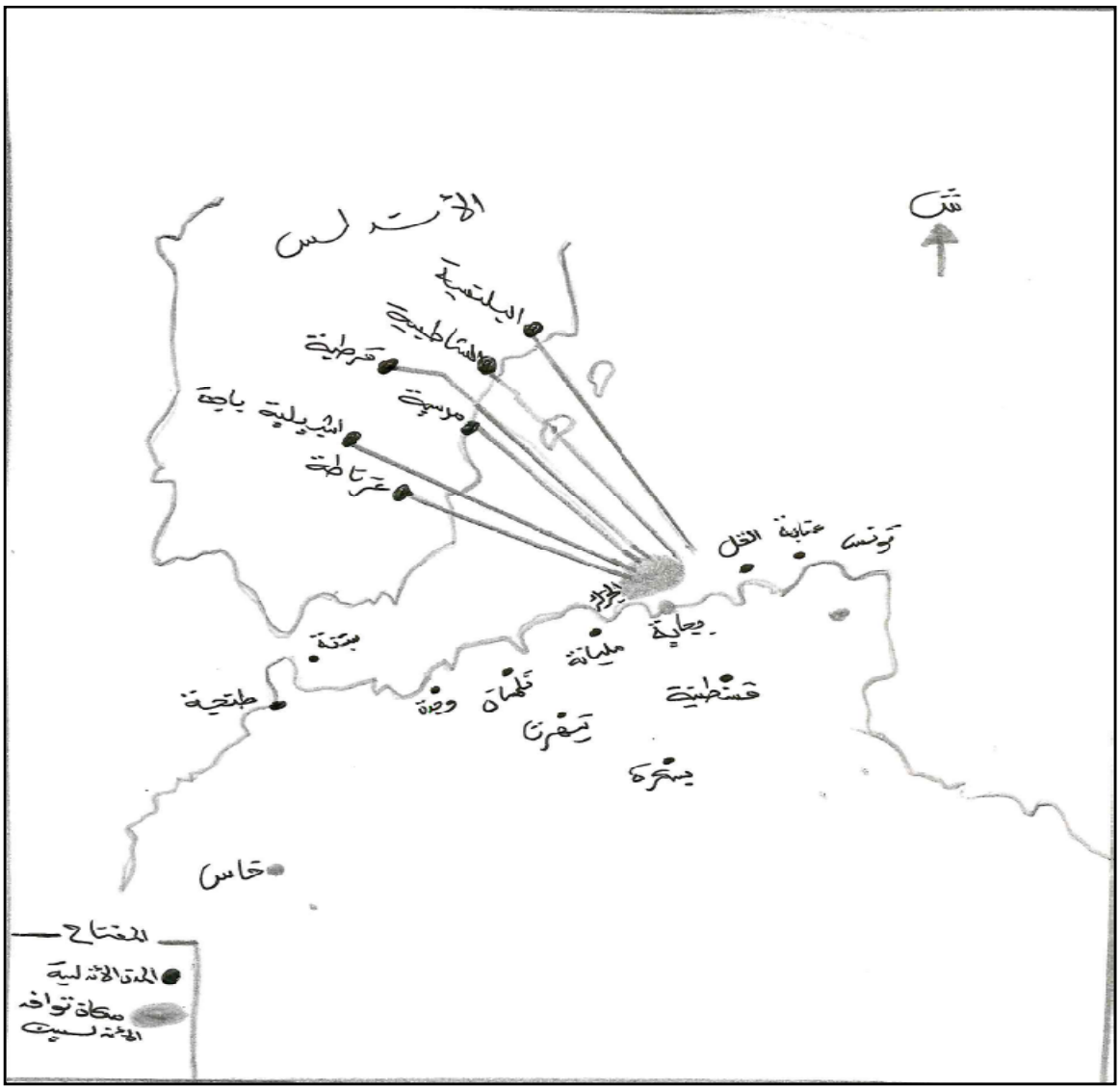

مواطن هجرة صوفية الأندلس إلى بجاية في القرن 7هـ/13م.

1- عائشة ناصر و هناء صحراوي، المرجع السابق، ص: 87.

البيبلوغرافيا

-القرآن الكريم.

أ)المصـــــادر

1-ابن أبي دينار أبو عبد الله محمد بن القاسم(ت1110هـ/1698م)، **المؤنس في أخبار افريقية و المغرب**؛تونس المطبعة الدولية التونسية، ط:1، 1286هـ.

2-ابن الابار، **أعتاب الكتاب**، تح:صالح الاشتر، مركز ودود للمخطوطات، ط:1، 1961م.

3-/// ، **الحلة السيراء**، تح:حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط:1، 1963م، ج:1.

4-ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن كرم(ت630هـ/1232م) **الكامل في التاريخ** مر ونص:محمد يوسف الدقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1 ،1987،مج:8.

5-ابن الأحمر(أبو محمد الوليد إسماعيل)، **نثير الجمان في شعر من نظمي و أيام الزمان**، تح:محمد رضوان الداية، الجزائر، المؤسسة الوطنية، ط:2، 1987م.

6-/// ، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تق و تح : هاني سلامة، د.ب، مكتبة الثقافة الدينية للنشر،ط:1، 2001م.

7-ابن الخطيب لسان الدين، محمد بن عبد الله(ت676هـ/1374م)؛ **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام**، تح:سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 2002م.

8-/// ؛**تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط** القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع:احمد مختار العبادي، الدار البيضاء، دار الكتاب، د،ط، 1964م.

9-/// ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح:محمد عبد الله عنان، القاهرة، الشركة المصرية للطباعة، ط:2، 1973م، مج:01.

10-ابن الزيات أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي(627هـ/1229م)، **التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السيتي**، تح:احمد التوفيق،الرباط، منشورات كلية الآداب، ط:2، 1997.

11-ابن الشماع ابو عبد الله محمد، **الادلة البينة الورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، تح و تق:الطاهربن محمد المعموري، تونس، الدار العربية للكتاب، د،ط، 1984.

12-ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تح:محمد الأحمدي أبو البنود، القاهرة، دار التراث، د.ط، د.س، ج:1.

13-ابن القطان المراكشي(ت منتصف القرن7هـ/13م)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح:علي مكي، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1985م.

14-ابن بشكوال، **الصلة**، تح:إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ط، 1183م مج:12، ج:2.

15-ابن حزم الأندلسي(ابي محمد علي بن احمد بن سعيد)، **جمهرة انساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ط:5، د.س.

16-ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ط، 1992م.

17-ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان،(ت808هـ/1406م)، **العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تع:عادل بن سعد، بيروت، دار الكتب العلمية،ط:1، 2010، مج:6.

18////) **المقدمة**، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، د،ط، د.س.ن.

19- ///، **تاريخ الجزائر في القرون الوسطى من كتاب العبر لثلاثة أجزاء**، تق:سعيد دحماني،الجزائر، منشورات بونة للبحوث و الدراسات، ط:1، 2011م.

20-/// ، **رحلة ابن خلدون**، تح و تق :نوري الجراح، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات للنشر، ط:1، 2003م.

21-ابن خلكان، **وفيات الأعيان و أبناء الزمان**، تح:إحسان عباس، بيروت، دار صادر، د.ط، د.س، مج:5.

22-ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1997م، ج:2.

23-/// ، **كتاب الجغرافيا**، تح:إسماعيل العربي، بيروت، الكتب التجاري للطباعة، ط:1، 1970م.

24-ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، تاريخ بلاد المغرب و الأندلس في عهد الموحدين، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط:3، 1987.

25-ابن فرحون المالكي، (ت796هـ/1403م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح:مأمون بن محي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 1996.

26-ابن قنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد، محمد بن عبد الله(ت676هـ/1374م)؛ **الوفيات**، تح و تع: عادل نويهض، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ط:4، 1983.

27-///الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح:محمد الشاذلي النير و عبد الحميد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر د.ط، 1968.

28-/// ، **شرف الطالب في أنسى المطالب**، تح:عبد العزيز صغير دخان، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 2003م.

29-ابن كثير(ابي الفدا اسماعيل بن عمر الدمشقي)، **البداية و النهاية**، مؤسسة المعارف، دار ابن حزم، د.ط، د.س، ج:4.

30-ابن مخلوف محمد بن محمد ،**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، القاهرة، المطبعة السلفية، د.ط، 1349هـ،ج:1.

31-أبو الحسن علي الماوردي، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، الكويت، دار ابن قتيبة، ط:1، 1989م.

32-أبي العباس أحمد القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح،إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط:02، 1400هـ، 1980.

33-/// ؛ **صبح الأعشى في صناعة الإنشى**،القاهرة؛الحذبونية؛د.ط؛1915؛ج:5.

34-أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي،**المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية و الأندلس و المغرب**،تح:محمد حجي،الرباط،المملكة المغربية ،ط:1، 1981م،ج6.

35-أبي حمو موسى الثاني،**واسطة السلوك في سياسة الملوك**،تلمسان؛دار ابن النديم للنشر د.ط؛2011.

36-أبي زرع الفاسي(علي بن عبد الله)،**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، الرباط، 1972م.

37-/// ،**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**،تر: كارل يوحنا،أوسبالة بدار الطباعة المرسية، 1987.

38-أبي زكرياء يحي بن خلدون ، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تح،عبد الحميد حاجيات الجزائر المكتبة الوطنية،ط1400هـ-1980م،مج01.

39-الإدريسي الشريف،**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية،د،ط،1994م،ج:1.

40-أرسلان الأمير شكيب،**الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**،تح:محمد المهدي الحباني،مصر،المطبعة الرحمانية،ط:1، 1936م،ج:2.

41-البيدق(أبو بكر الصنهاجي)، **المهدي بن تومرت**، الرباط، دار المنصور،د.ط، 1971م.

42- الأندلسي(أبي عبد الله محمد بن محمد الوزير سراج)،**الحلل السندسية في الاخبار التونسية**،مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية،ط:1، 1287م.

43-البكري أبو عبد الله بن عزيز(ت487هـ/1094م)**المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب** و هو جزء من كتاب المسالك والممالك،القاهرة،دار الكتاب للإسلام،د،ط،د،س،ن.

44-البوصيري(شرف الدين أبي عبد الله)،**ديوان البوصيري**،شرح وتق:أحمد حسن بسبح،بيروت،دار الكتب العلمية،ط:1، 1995م.

45-البيدق أبو بكربن علي الصنهاجي؛**أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين** ؛الرباط، دار منصور للطباعة و الوراقة،د،ط،1971.

46-التلمساني(محمد ابن صعد الأنصاري)، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**،تح:يحي بوعزيز،الجزائر،منشوراتANEP ،ط:1، 2002م.

47-التلمساني(محمد بن مرزوق)،**المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا الحسن**،تح:ماريا خيسوس فيفيرا،الجزائر،الشركة الوطنية، 1981م.

48-التنبكتي،أبو العباس احمد بن احمد(ت1036هـ/1627م)،**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**،تق:عبد الحميد عبد الله الهرامة،طرابلس،كلية الدعوة الإسلامية،ط1، 1998.

49-///،**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**،المغرب مطبعة فضالة ،د،ط:2000،ج:1.

50-التنسي أبو عبد الله بن عبد الجليل(ت889هـ/1494م)،**تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان** ،تح،وتع:محمود أغا بوعياد،الجزائر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،د،ط،2011.

51-حاجي خليفة، **كشف الطنون عن أسامي الكتب و الفنون**،بيروت،دار إحياء التراث العربي،د.ط،د.س،مج:02.

52-الحفناوي،أبي القاسم محمد(ت1360هـ/1942م)،**تعريف الخلف برجال السلف**،تح:خير الدين،شترة،الجزائر،دار كردادة للنشر و التوزيع،ط:1، 2012.8

53-الحميري محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م) **الروض المعطار في خبر الأقطار** تح:إحسان عباس،بيروت، مكتبة لبنان،ط:1، 1975.

54-الحموي شهاب الدين أبو عبد الله الياقوت(626هـ/1226م)،**معجم البلدان** بيروت،دار صادر،د،ط،مج:1-5.

55-الزركشي،ابو عبد الله محمد(ت894هـ/1488م)،**تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح،وتع:محمد ماضود،تونس، المكتبة العتيقة،ط:2، 1966.

56-زكريا بن محمد بن محمود القزويني،**آثار البلاد و أخبار القياد** بيروت،دار صادر،د،ط،د،س.

57-السخاوي عبد الله،**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**،بيروت،دار الجيل،د.ط،د،س،ج:9.

58-السملالي(العباس بن براهيم)، **الأعلام بمن دل مراكش و أغمات من الأعلام**،الرباط، المطبعة الملكية،ط:2، 1993م،ج:1.

59-السيوطي جلال الدين،**بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،د.ب،دار الفكر،ط:2، 1979م،ج:2.

60-شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت749هـ،**ممالك الأبصار في ممالك الأمصار**،ممالك اليمن و الغرب الإسلامي ، وقبائل العرب ، السفر الرابع،تح حمزة أحمد عباس،دار الكتب الوطنية،أبو ظبي،2003.

61-العبدري محمد(ت720هـ/1321م)، **الرحلة المغربية**،تق:سعد بوخالفة،الجزائر،مؤسسة بونة للبحوث و الدراسات،ط:1، 2007.

62- عماد الدين إسماعيل بن محمد أبي الفدا(ت732هـ)،**تقويم البلدان** ،بيروت،دار صادر،د.ط،د.س.

63-الغبريني أبو العباس احمد(ت704هـ/1304م)،**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**،تح:رابح بونار ،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،ط: ،1981.

64-الفيروز أبادي ،**القاموس المحيط**، مرا: أنس محمد الشامي، القاهرة،دار الحديث،د.ط، 2008م.

65-القرافي بدرالدين(ت1008هـ/1603م) **توشيح الديباج وحلية الابتهاج** ،تح:علي عمر، القاهرة ،مكتبة الثقافة الدينية،ط:1، 2004م.

66-كربخال مارمول،**إفريقيا** ،تر:أحمد التوفيق، الإسكندرية،الجمعية المغربية للتأليف د.ط،1989م،ج:2.

67-محي الدين محمد الزبيدي،**تاج العروس في جواهر القاموس**،تح:علي بشيري،دارالفكر،بيروت،1994،مج:16.

68-المراكشي ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**،تح:ليقي بروفنسال،لبنان،دار الثقافة،ط:03، 1983م،ج:1.

69-المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**(ت649هـ)،بيروت،دار الكتب العلمية،ط:2، 2005م.

70-المزاري الاغا بن عودة، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا الى أواخر القرن ق19**،تح : يحي بوعزيز، بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 1990،ج:01.

71- المقري أحمد بن محمد التلمساني ،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرحيب**،تح:إحسان عباس، بيروت،دار صادر،د،ط،1988،مج:2.

72-/// ،**أزهار الرياض في أخبار عياض**،تح:مصطفى السقا،إبراهيم الأبياري،مصر،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة،د.ط،1939م،ج:2.

73-مؤلف مجمول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تع:سعد زغلول عبد الحميد،العراق،دار الشؤون الثقافية العامة،د،ط،دس،ن.

74-/// ، **مفاخر البربر**، تح:عبد المهدي بن تومرت، الرباط، دار المنصور،ط:1، 2005م.

75-/// ، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح:سهيل زكار، الدار البيضاء،دار الرشاد، ط:1، 1979م.

76-/// ، **زهر البستان في دولة بني زيان**، تح: بوزيان الدراجي، الجزائر، مؤسسة بوزياني للنشر، د.ط، 2013، مج:2.

77-النعمان القاضي،**افتتاح الدعوة**،تح:فرحات الدشراوي،الشركة التونسية للتوزيع،ديوان المطبوعات الجامعية،ط:2، د.س.

78-النيفر محمد،**عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب**،استدراك:علي النيفر،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 1996م،ج:1.

79-الوزان الحسن بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا**،بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط:2، 1983م،ج:02.

ب)- المراجع:

80-أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط:1، 1989م، ج:1.

81- أبو رميلة هشام، **علاقة الموحدين بالممالك النصرانية و الدول الإسلامية في الأندلس**، الأردن، دار الفرقان، ط:1، 1404هـ- 1984م.

82- أبو مصطفى كمال السيد،**جوانب من الحياة الأج و الإق والدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل ، فتاوى المعيار المعرب للونشريسي**،مركز الإسكندرية للكتاب،د.ط، 1996م.

83- أحمد طه جمال،**مدينة فاس في عصري المرابطين و الموحدين**، الإسكندرية،دار الوفاء لدنيا الطباعة،د.ط،2001م.

84- الأعرج السليماني، أبو عبد الله ،**تاريخ الجزائر بين قيام دولة الفاطميين و نهاية ثورة الأمير عبد القادر**، تح:حساني المختار، الجزائر،المكتبة الوطنية.

85- الاعرجي (نضال مؤيد مال الله عزيز)،**الدولة المرينية على عهد يوسف بن يعقوب المريني** العراق،جامعة الموصل، 2009م.

86- إقبال موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نشأتها و تطورها**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، ط:1، 1971م.

87- برانشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، تر:حمادي الساحلي،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 1998م.

88- بروكلمان كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر:غيدا أمين فارس، لبنان، دار العلم للملايين، ط:1، 1948م.

89- بلعيد صالح وآخرون،**العلاقات العلمية و الحضارية بين زواوة و تلمسان، بجاية،تيزي وزو**،د.ب،دار الأمل للطباعة و النشر، د.ط، 2011م.

90-بن عمورة عمار،**الجزائر بوابة التاريخ**،باب الوادي، دار المعرفة،ج:2.

91- بن قربة صالح وآخرون،**تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**،الجزائر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية،د.ط، 2007م.

92-بن قربة صالح،**عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**،الجزائر،موقع النشر، د.ط، 2011م.

93- بورويبة رشيد، **الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها**،الجزائر،ديوان المطبوعات الجامعية،د.ط، 1977م.

94-بوعزيز يحي،**الموجز في تاريخ الجزائر**،ديوان المطبوعات الجامعية،ط:1، 2009م،ج:01.

95- بوعمامة فاطمة،**اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع و الثامن هجري الموافق ل(14-15 ميلادي)**،الجزائر ،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع،د.ط، 2011م.

96-بوعياد محمود،**جوانب من الحياة في المغرب الأوسط**،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر،د.ط، 1982م.

97- تواتي بومهلة،**بجاية حاضرة البحر ونادرة الدهر**،مرا:أحسن بومالي،الجزائر،دار المعرفة،د.ط،د.س.ت.

98-توفيق عمر لحمال و سعيد عمران محمود ،**تاريخ الدولة البيزنطية**، الإسكندرية،دار المعرفة،د.ط، 2006م.

99-الجيلالي عبد الرحمن،**تاريخ الجزائر العام** ، بيروت،دار مكتبة الحياة،طك2، 1965م،ج:2.

100-/// ،**تاريخ المدن الثلاث(الجزائر،المدية،المليانة)**،الجزائر،شركة دار الأمة،ط:1، 2007م.

101-حاجيات عبد الحميد؛**أبوحمو موسى الزياني حياته وأثاره**؛الجزائر؛الشركة الوطنية للنشر؛د.ط؛1974.

102-حاروش نور الدين،**تاريخ الفكر السياسي**،د.ب،دار الأمة للطباعة و النشر،د.ط، 2010م.

103-حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، الدار البيضاء،دار الرشاد،د.ط، 2000م،ج:1.

104- الحريري محمد عيسى،**تاريخ المغرب الإسلامي و الأندلس في العصر المريني**، الكويت،دار القلم للنشر،ط:1، 1985م.

105-حساني مختار، **الحواضر و الأمصار الإسلامية الجزائرية**، الجزائر، دار المهدي، د.ط، 2011م.

106-/// ، **تاريخ الجزائر الوسيط**، دار الهدى، د.ط، 2013م،ج:4.

107-حسن البهجي ايناس،**دولة المماليك البداية و النهاية**،الإسكندرية،دار التعليم الجامعي،د.ط، 2015م.

108-خلفات مفتاح ،**قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط مابين القرنين(6-9هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي و الحضاري**،الجزائر،دار الأمل للطباعة و النشر،د.ط،د.س.ت.

108-دخلان أحمد بن زيني ،**تهذيب تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية**،د.ب،شركة دار المشاريع للطباعة ،ط:2، 2006م.

109- الدراجي بوزيان ، **القبائل الأمازيغية** ، الجزائر،دار الكتاب العربي،د.ط، 2007،ج:2.

110-/// ؛ **أدباء وشعراء من تلمسان**؛الجزائر؛دار الأمل للدراسات؛ د.ط؛2011م.

111-ديورانت وويل،**أبطال من التاريخ**، مختصر قصة الحضارة،تر:سمير كرم ،بيروت،دار الكتاب العربي،د.ط، 2001م.

112-الزركلي خير الدين، **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين)**،بيروت،دار العلم للملايين،ط:15، 2002م.

113-الزواوي أبو يعلى، **تاريخ زواوة** ، بوراي اسماعيل،الجزائر،د.ط، 2007م.

114-سالم عبد العزيز السيد،**تاريخ المغرب الكبير**،دار النهضة العربية،بيروت، 1981،ج:2.

115-سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي (أبو يعقوب يوسف)**،الإسكندرية،منشأة المعارف،د.ط،د.س،ج:6.

116-/// ، **تاريخ المغرب العربي الفاطميون و بنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**،الإسكندرية،منشأة الناشر للمعارف ،د.ط،د.س.ت.

117-/// ،**تاريخ المغرب العربي،الموحدون مصامدة السوس**،الاسكندرية،منشاة المعارف،د.ط،د.س،ج:05.

118-سليمان محمد،**نظام الحجابة في الدولة العربية الإسلامية**،عمان المملكة الأردنية الهاشمية،ط:1، 2014م.

119-السيد محمود،**تاريخ دول المغرب العربي ليبيا،الجزائر، المغرب،موريطانيا**،الإسكندرية،مؤسسة شباب الجامعة،د.ط،د.س.

120-سيدي موسى محمد الشريف،**مدينة بجاية الناصرية دراسة في الحياة الاجتماعية و الفكرية**،تق:محمد الأمين بلغيث،الجزائر،دار كرم الله للنشر والتوزيع،د.ط،د.س.ت.

121-شاري لطيفة، **العلاقات التجارية للمغرب الاوسط في عهد امارة بني عبد الواد من ق 7الي ق10** ،وزارة الشؤون الدنية والاوقاف، د.ط،د.س.

122-شاكر محمود، **تاريخ الإسلام**، بيروت، المكتب الإسلامي، ط:4، 1991م،ج:7.

123-شريف ممحمد الهادي ،**تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**،تح:محمد الشاوش،تونس،دار سراس للنشر،ط:3،د.س.

124- الشعيري سناء،**المرأة في الأندلس**،الرباط،مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات،ط:1، 2000م.

125-شهاب أحمد نهلة،**تاريخ المغرب العربي**،عمان،دار الفكر،ط:1، 2009م.

126-شهبي عبد العزيز،**تاريخ المغرب الإسلامي**، مختصرات لطلاب الجامعة،الأبيار،مؤسسة كنوز الحكمة للنشر،ط:1، 2013م.

127-ضيف شوقي،**عصر الدول و الإمارات(الإمارات،المغرب الأوسط،موريطانيا،السودان)**،القاهرة،دار المعارف،ط:1،د.س.

128-الطمار محمد بن عمرو،**تلمسان عبر العصور**،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ط، 1984م.

129- ///،**الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج**،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر، 1983م.

130-/// ،**تاريخ الأدب الجزائري**،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،د.ط، 2006م.

131-طويل الطاهر،**المدينة الإسلامية و تطورها في المغرب الأوسط**،الجزائر، المتصدر للترقية الثقافية و العلمية،د.ط، 2011م.

132-عادل أنور خضر، **أطلس تاريخ الجزائر**، مر:ناجي يحي، الجزائر، دار العزة و الكرامة للكتاب، د.ط،د.س.

133-العبادي مصطفى،**الإمبراطورية الرومانية**،الإسكندرية،دار المعرفة الجامعية،د.ط، 2011م.

134-عبدلي لخضر، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة عبد الواد**، الجزائر، ابن النديم، ط: 2011

135-العربي اسماعيل ،**المدن المغربية**،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ط، 1984م.

136-عروي عبد الله،**مجمل تاريخ المغرب**،المغرب،المركز الثقافي العربي،ط:2، 2009.

137-عصفور محمد أبو المحاسن، **المدن الفينيقية**،بيروت،دار النهضة،د.ط،د.س.

138-علاوي محمد الطاهر،**أبو مدين شعيب**،الجزائر،دار الأمة،د.ط، 2011م.

139-علي حسن حسن،**الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس**،مصر،مكتبة الخنابجي،ط:1، 1980م.

140-عمر أحمد موسى عز الدين، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، بيروت، دار الشروق، د.ط، 1983م.

141-عمر موسى عز الدين،**الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**،دار الغرب الإسلامي،د.ط،د.س.

142-عويس عبد الحليم،**دولة بني حماد صفحة رائعة في التاريخ الجزائري**،بيروت،دار الشروق،ط:1، 1980م.

143-غانم محمد الصغير،**التوسع الفينيقي في غربي** دار الهدى، الجزائر،دار الهدى ،د.ط،د.س.

144- الغناي عقيلة،**سقوط دولة الموحدين**،بن غازي، منشورات مجموعة قار يونس،ط:1، 1988م.

145-فريحات حكمت عبد الكريم و الخطيب إبراهيم ياسين،**مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**،دار الشروق للنشر،الأردن،ط:1، 1989م.

146-كرزاز فوزية،**دور المرأة في المغرب الإسلامي من ق05 حتى ق07هـ** ،تق:عازي مهدي،وهران،دار الأديب،د.ط، 2006م.

147-الكعاك عثمان،**موجز التاريخ العام للجزائر**،تق:أبو القاسم سعد الله،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 2003م.

148-كواتي مسعود،**اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**،الجزائر،دار هومة للطباعة والنشر و التوزيع،ط:2، 2009م.

149-لحجمة(نواف عبد العزيز)؛**رحالة الغرب الاسلامي وصورة المشرق العربي من ق6 حتى ق 8 هـ(12-14م) الامارات العربية المتحدة**، دار السويدي ، ط:1 ،2008

150-مارسية جورج،**بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**،تر:محمود عبد الصمد هيكل،الإسكندرية،منشأة المعارف،د.ط، 1999م.

151-محفوظ محمد،**تراجم المؤلفين التونسيين**،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 1982م،ج:1.

152-مرعي خلف الله ابتسام،**العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي**،دار المعارف،د.ط، 1985م.

153-مزازي توفيق،**النشاط البحري بالمغرب الإسلامي في عهدي الموحدين و المرابطين**،الجزائر،جسور للنشر،ط:1، 2011م،ج:1.

154-المطوي محمد العروسي،**السلطنة الحفصية تاريخها السياسي و دورها في المغرب الإسلامي**،بيروت،دار الغرب الإسلامي،د.ط، 1986م.

155-المغراوي محمد،**الموحون و أزمات المجتمع** ، الرباط،جذور النشر،ط:1، 2006م.

156-مقلد الغنيمي عبد الفتاح،**موسوعة تاريخ المغرب العربي (بني حفص وبني زيان وبني مرين)**،القاهرة،مكتبة مدبولي،ط:1، 1994م،ج:6،5.

157-المنوني محمد،**ورقات عن حضارة المرينيين**،الرباط،الدار البيضاء،ط:3، 2000م.

158-مؤنس حسين،**ابن بطوطة و رحلاته**،القاهرة،دار المعارف،د.ط،د.س.

159- ///،**تاريخ المسلمين في البحر المتوسط**،الأوضاع السياسية و الأق و الأج،الدار المصرية اللبنانية،ط:1، 1991م.

160-/// ؛**تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي الى الغزو الفرنسي**؛بيروت؛العصر الحديث؛ط:1 ؛**1992**؛ج:**2**؛**3** .

161-ميدون عز الدين،**عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي الجزائري**،تلمسان، دار السبيل للنشر،د.ط، 2011م.

162-الميلي مبارك، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،تق وتص:محمد المليلي،الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب،د.ط،د.س.ت،ج:3،2.

163-الناصري أبو العباس،**الاستقصا لاخبار المغرب الأقصى**،الدار البيضاء،دار الكتاب،د.ط، 1954م،ج:2.

164-النجار عبد المجيد، **المهدي بن تومرت**،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 1983م.

165-نصر الله سعدون،**تاريخ العرب السياسي في المغرب**،بيروت،دار النهضة العربية،ط:1، 2003م.

166-نكادي يوسف،**الزراعة في الأندلس** ،الدار البيضاء،مطبعة النجاح الجديدة،ط:2، 2009م.

167-نويهض عادل،**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،بيروت،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر،ط:2، 1980م.

168- الهادي روجي إدريس،**الدولة الصنهاجية(تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى 12م)**،تر:حمادي الساحلي،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط:1، 1992م،ج:2

ج) المقالات و الدوريات:

169-بلبشير عمر،**أبو العباس الغبريني و كتابة عنوان الدراية**،الجزائر،عصور، ع:6-7، 2005م، ع ص:207-219.

170-بنحمادة سعيد،**جوانب من الحياة الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية بالمغرب الإسلامي**.الجزائر،عصور الجديدة، ع:5، 2012، ع ص:71-80.

171-بوباية عبد القادر،**طرق التدريس في المغرب الاسلامي فاس و بجاية نموذجا**،الجزائر،العصور الجديدة، ع:1، 2011م، ع ص:49-56.

172-بولحبال حسن،**مجالات إسهامات المرأة المسلمة في العلوم و التربية** .الجزائر،مجلة محكمة نصف شهرية تصدرعن وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ع:07، 2010م، ع ص:39-71.

173-بونار رابح،"**تاريخ بني حماد**".الجزائر ،الأصالة، ع:19، 2012، ع ص:

174-بوناني الطاهر ،**نشأة و تطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط**.د.ب،حوليات التراث، ع:2، 2014م، ع ص:01-19.

175-حاجيات عبد الحميد،"**ابن خلدون في بجاية** ".الجزائر،الأصالة، ع:19، 2012م، ع ص:191-202

176-سعيدون محمد،"**إقامة ابن خلدون في بجاية و دوره فيها**".الجزائر،الأصالة، ع:19، 2012م، ع ص:

177-لسيدة العالمة،**نظرة على تاريخ بجاية**.الجزائر،الأصالة ، ع:19، 2012م، ع ص:

178-الطالبي محمد،"**الهجرة الأندلسية إلى افريقية أيام الحفصيين**". الجزائر،الأصالة، ع:26، 2012، ع ص:46-83.

179-العربي اسماعيل،"**النشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد**".الجزائر، الأصالة، ع:19، 2012، ع ص:331-339.

180-عنان عبد الله،"**مدرسة بجاية الأندلسية و أثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط**".الجزائر،الأصالة، ع:13، 2012، ع ص:193-193.

181-قريان عبد الجليل،**التلاقح العلمي بين حاضرتي بجاية و تلمسانفي العصر الوسيط قراءة تاريخية**.وهران،عصور الجديدة، ع:10، 2014، ع ص:148-160.

182-هـايزيس فـون مالسـتان،**بجايـة**. تـر:أبـو العيـد دودو،الجزائر،الأصـالة، ع:19، 2012، ع ص:39،45.

183-الهـراس عبـد السـلام،**انتـاج ابـن الأبـار البلنسـي**.مدريد،مجلـة العهـد المصـري للدراسـات الإسلامية،مج:22، 1984م، ع ص:

184-الـوافي علـي عبـد الواحـد،"**دقـة ابـن خلـدون و صـرامته فـي شـؤون العلـم و القضاء**".الجزائر،الأصالة، ع:19، 2012م، ع ص:227-232

د) الـرسائـــل الجـامعيـــة:

185-- بوتشيش أمينـة،**بجايـة دراسـة تاريخيـة و حضـارية بـين القـرنين السـادس و السـابع هجريين**.مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،تلمسان،جامعة أبي بكر بلقايد،2007-2008.

186-- عرقوب سفيان، **الحياة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (704هـ)**؛مذكرة لنيل شهادة الماستير في تاريخ وحضارة المغرب الأسلامي؛تيارت؛جامعة ابن خلدون؛2014-2015م

187- ناصـر عائشـة و صـحراوي هنـاء،**الحواضـر الإسـلاميةفي المغـرب الاسـلامي بجايـة الحفصـــية(ق7-9هـ)**،مـــذكرة لنيـــل شـــهادة الليســـانس في التـــاريخ،الجزائر،المركز الجـــامعي بالوادي،2011م-2012م.

الموضوع.....الصفحة

البسملة

دعاء

كلمة شكر

الاهـداء

مـقـدمـة.....أ--و

ÕȠÆţå :نبذة تاريخية عن مدينة بجاية

1. نبذة تاريخية عن مدينة بجاية.....20-08

ĞǾ Ô ȦΣå ĞΛȺDzGõ ĞǾ è ÄǾ Ê öå gÄǾΣå:òşjå Õ Ô Ȧöå

1- المبحث الأول:أمراء بني حفص على بجاية.....30-22

2- المبحث الثاني:الأنظمة السياسية والإدارية 36-31

3- المبحث الثالث:بجاية إمارة مستقرة 39-36

4- المبحث الرابع:العلاقات الخارجية لبجاية الحفصية 39

أ. علاقة بني حفص ببنو مرين 42-39

ب. علاقة بني حفص ببنو عبد الواد.....43-42

ت. علاقة بني حفص مع النصارى 45-43

ث. علاقة بني حفص مع مصر..... 45

ĞΛȺDzGõ ĞΛáÅ Ô Qęqåş ĞǾȝÅŧ QDZqå gÄǾΣå:ƆÅžöå Õ Ô Ȧöå

ĞǾ Ô ȦΣå

1- المبحث الأول:الحياة الإجتماعية لبجاية الحفصية .....

عناصر المجتمع البجائي 47

أ. البربر 47

أ-1 قبيلة كتامة 48

أ-2 بنو سدويكش..... 48

أ-3قبيلة زواوة.....48-49
ب. العرب 49
ج. الأندلسيين 50-51
د. أهل الذمة 52
د-1اليهود 52-53
د-2النصارى..... 53-54
ه-عناصر أخرى..... 54
2-فئات المجتمع 54
2-ا.الفئة الحاكمة..... 55
2-ب.القضاة 55-56
2-ج العلماء 57
2-د الجنود 58
2-ه التجار 59
2-و الفلاحين 59-60
3-مكانة المرأة في بجاية الحفصية.....60-62
4-البعض من عادات وتقاليد المجتمع(الأطعمةوالمشروبات؛الألبسة؛الزينة) 62-64
المبحث الثاني:الأوضاع الإقتصادية
أ:الزراعة.....64-67
الري.....67-68
تربية الماشية.....68
ب:الصناعة.....69
أهم الصناعات.....69-72
ج التجارة.....72-74
الفصل الثالث:الحياة الثقافية لبجاية الحفصية
المبحث الأول:العلوم النقلية.....77
أ-القراءات.....77-78
ب-التفسير.....79
ج-الحديث.....80-81
د-الفقه.....82-83

ه-التصوف.....86-84

و-الأدب.....90-87

المبحث الثاني:العلوم العقلية.....90

1-الطب والصيدلة.....91-90

2-الرياضيات.....92-91

3-التاريخ.....93-92

المبحث الثالث:الروابط الثقافية لبجاية الحفصية ودول الجوار.....94

1-الأندلس.....98-94

2-صقلية.....99-98

3-دول المغرب.....101-99

خاتمـة.....105-103

الملاحق.....114-107

المصادر و المراجع.....134-116